رسالة
لكل مبتلى
الأستاذه
أروى الغزالى

إهداء

إلى أغلى روح غادرتني

(روح فوزيه)
أمي..حبيبتي وقرة عيني ...
بكل تضحياتك ومعاناتك والآلامك ...
اسأل الله لك الرحمة والمغفرة وأن يكون هذا الكتاب
حسنات جارية في ميزان اعمالك ...

إبنتك المحبة / اروى الغزالي

للإستفسارات او للتواصل مباشرةً

rsalhklmbtly@gmail.com

مُقَــدَّمة

الحمد لله رب العالمين كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه.

والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين سيدنا محمد النبي الأمي الصادق الأمين ما ذكره الذاكرون وغفل عنه الغافلون.

إلى كل مبتلى:

هذه رسالة مختصرة إلى.

- إلى المريض الذي قيده مرضه على سريره و نهشت الآلام جسده وأنهكت نفسه.
- إلى المظلوم الذي سُلبت منه حقوقه وفقد الناصر والمعين في الناس.
- إلى السجين الذي اختصرت كل حياته في غرفة مظلمة ضيقة.
- إلى الفقير الذي قل في يده المال أو انعدم وعجز عن الإيفاء بمتطلبات الحياة له ولأسرته.
- إلى الوحيد في هذه الدنيا بعد أن نبذه الناس وابتعدوا وتخلوا عنه.
- إلى من أسرف على نفسه بالذنوب والمعاصي فسُدَّت أبواب التوفيق في وجهه.
- إلى المهموم.
- إلى المنكسر.
- إلي الضعيف.

إلى .... إلى ..... إلى

إلى كل من ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت أنفسهم، وأغلقت الأبواب في وجوههم، تأكدوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه.

إليكم جميعاً هذة الرسالة،لعلها تساعدكم على الصبر والثبات أمام المحن والشدائد التي تواجهكم.

وثقوا جميعاً أن بعد الكرب فرج، وأن بعد العسر يسر، وأن بعد الشدة رخاء، وأن الشمس الدافئة لا بد أن تطلع يوماً ما، لا بد ذلك، لأن هذه سنة الله في الكون، فتبدد ظلام ليل الكرب والشدة التي تقاسون آلامها.

وما دام الله سبحانه وتعالى موجود فإن الأمل والتفاؤل لا بد أيضاً أن يكون موجوداً لأنه سبحانه فارج الكرب، كاشف الهم.

مجيب دعوة المضطر

فابتسم أخي المبتلى، واصبر، وترقب مجيء الفرج عليك، مع طلوع الشمس في كل يوم جديد، واعلم أن الحبل إذا اشتد انقطع، وأن الأزمة إذا تناهت وعظم ضيقها فرجت.

ضاقت فلما استحكمت حلقاتها فرجت وكنت أظنها لا تفرج

أ. أروى أحمد الغزالي

في ١٥ رجب سنة ١٤٣١ هـ

المبتلى مع الله

قبل أن نخوض في الابتلاء وتفاصيله، يجب أن نعرف أن من بيده مقادير الأمور خيرها وشرها هو الله تعالى، وأنه سبحانه هو رب هذا الكون ومالكه والمتصرف فيه بما يشاء وكيف يشاء، وأن أقدار الابتلاءات، وأقدار الخيرات، وتصاريف المحن والمنح منه وحده {وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ} [سورة يونس: ١٠٧].

ويجب أن نعرف أن هذا الإله حينما خلقنا خلقنا وهو لنا محب، إذ سوانا بيده الإلهية، ونفخ فينا من روحه وأسجد لنا ملائكته، وسخر لنا كل مخلوقاته.

ورد في الاثر القدسي «ابن آدم خلقتك وأنا لك محب فبحقي عليك إلا أحببتني» أي أنه حينما يبتلينا ليس لأنه يكرهنا كما يتصور في أذهان البعض، فمن صفاته الإلهية أنه «ودود».

والود في اللغة تعنى.. أرق الحب وأخلصه.

أي أنه يحبنا حباً خالصاً، لا مصلحة فيه ولا منفعة لأنه الغني عنا ونحن الفقراء إليه.

قرأ أحد الصالحين قوله تعالى: {يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ} [سورة المائدة: ٥٤]

فقال ليس العجب من عبد يتقرب.. ولكن العجب كل العجب من إله يتودد.

وقال آخر: ما أعظمك يا رب !! خلقتهم ورزقتهم ثم تحبهم !!

أيضاً من صفاته سبحانه أنه (حكيم) فكل شيء يقدره لا بد أن يكون له سبب وغاية قد نعلمها و قد نجهلها ولكنها في النهاية لمصلحة العبد، إما في دنياه أو آخرته، أو في الاثنتين معاً وسمعنا عن أناس كثيرون كان ابتلاءاتهم سبباً في دخولهم التاريخ البشري من أوسع أبوابه، مسلمين أو غير مسلمين.

ونستطيع أن نلمس حكمة الله سبحانه– وتعالى ورحمته في أقداره لعباده حتى لو بدت لنا قاسية وغير مفهومة في ظاهرها في قصة موسى – عليه السلام – مع الرجل الصالح، والذي خرق السفينة ثم قتل نفساً بريئة بغير ذنب، ثم بنى جداراً دون أن يطلبه منه أحد، أو يأخذ أجره من أحد، وهنا لو تتوقف الرؤية -كما يحدث دائماً معنا في أحداث حياتنا وأقداره ومن وجهة نظرنا البشرية القاصرة، لرأينا أحداثاً قاسية وغير مبررة، وهذا ما جعل موسى- عليه السلام- يستنكرها المرة بعد الأخرى، من الرجل الصالح، ولكن في نهاية رحلتهما معا يبين الرجل الصالح لموسى- عليه السلام – الأسباب والحكمة من هذه الأفعال والتي هي من أقدار الله تعالى، ويتضح لموسى أن هذه الأفعال بالرغم من قسوتها الظاهرية هي منتهي الرحمة من الله تعالى، فالسفينة خرقها الرجل الصالح ليوجد بها عيباً يحول دون استيلاء رجل ظالم كان يستولي على السفن في البحر، والولد الذي قتله كان سيرهق أبويه بعقوقه وتصرفاته السيئة، ولذلك أراد الله أن يعوضها بذرية صالحة بارة بهما لصبرهما على وفاته، والجدار الذي بناه، كان ليتيمين ضعيفين في المدينة، وكان تحته كنز لهما، وكان لهما والد صالح فلم يضيع الله صلاحه في أعماله وأرسل لوالديه نبي ورجل صالح ليحفظا لهما كنزهما ببناء الجدار حتى يكبرا ويستخرجا كنزهما، ثم يؤكد الرجل الصالح في نهاية كلامه، أن كل هذه الأفعال التي قام بها إنما هي من أمر الله، وبالتالي فهي أقداره وبيده وحده سبحانه كما أنها أيضاً أقدار رحمة {رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِى} [سورة الكهف: ٨٢].

وبالتالي أخي المبتلى:

لا تتوقف عند أحداث الابتلاء التي أنت فيها، ثم تقرر لها القسوة، وعدم الرحمة والحكمة، بل انتظر حتى تنجلي عنك آثارها، وستعلم وتتأكد كم كانت هذه الأقدار في صالحك رحيمة بك، هي كل الحكمة لأن من قدرها عليك هو الله «الرحمن الرحيم الحكيم»

إذاً أخي المبتلى:

من قدر عليك البلاء يحبك ويرحمك ويتولاك في كل أمورك. «ما أشقاك- إلا ليسعدك»، و«ما أبكاك.. إلا ليضحكك»، و «ما أخذ منك .. إلا ليعطيك» و «ما ابتلاك.. إلا لأنه يحبك» فإذا سجدت فأخبره بأسرارك... ولا تُسمع من بجوارك وناجه بدمع عينك.. فهو لقلبك مالك...

وأكثر الحمد له سبحانه لأنك في بلائك هذا في نعمة عظيمة، ومنة كريمة، ستكشف لك معالمها عندما يرحل ليل البلاء، وينبلج صباح النعمة والرخاء، ويكتب لك الخير، وتنال في دنياك وآخرتك من الله بسبب هذا البلاء عظيم الأجر.

وحتى يمكننا التعامل بإيجابية وثبات مع الابتلاء يجب علينا أولاً معرفة معنى الابتلاء.

تعريف الابتلاء:

الابتلاء لغة: «هو الاختبار والامتحان».

فعندما تبتلي شخص فأنت تختبره وتمتحنه للوصول إلى غاية أو هدف ما، وعادة تكون هذه الغاية هي في صالحه، وللتحقق من أنه يستحقها، أي أن الاختبار وضع لتأديب أو لإثابة.. ولله المثل الأعلى « كذلك كل امتحان أو ابتلاء تمر به إنما كتبه الله عليك وهو في

صالحك، ويريد به أن يظهرك من ذنب أو يرقيك في درجات في الجنة»

والابتلاء سنة كونية من سنن الله فى هذه الحياة يقول الله {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ} [سورة محمد: ٣١].

ويقول تعالى: {أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ مسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ} [سورة البقرة: ٢١٤].

ويقول تعالى: {وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً} [سورة الأنبياء: ٣٥].

ويقول تعالى: {وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءامَنُواْ وَيَمْحَقَ الكَافِرِينَ} [سورة آل عمران: ١٤١] والتمحيص المبالغة في الابتلاء.

ويقول تعالى: {مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ} [سورة آل عمران: ١٧٩] وتمييز الخبيث من الطيب أي فصل أحدهما عن الآخر وهو شيء لا يتم إلا بالاختبار والامتحان.

إذاً كل هذه الآيات وسواها كثير في القرآن الكريم تؤكد على أن الابتلاء سنة كونية ثابتة من سنن الله في الحياة مستمرة مع استمرار الحياة ووجود الإنسان في هذه الأرض منذ نزول آدم عليه السلام حتى يرث الله الأرض ومن عليها يوم القيامة.

أما أحاديث النبي التي وردت في ابتلاء المؤمن وسببه فهي كثيرة جداً، وتدلنا بوضوح أن الابتلاء هو نعمة من الله تعالى لعباده المؤمنين وليس نقمة كما يتصوره كثير من الناس، وأنه في الأعم الأغلب هو دليل محبة الله للعبد.

يقول سيدنا محمدﷺ: «إن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فعليه السخط»[1]

«إِنَّ اللهَ تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا ،ابْتَلَاهُ، فَمِنْ حُبِّهِ إِيَّاهُ يَمَسُّهُ الْبَلَاءُ كَيما يَسْمَعَ صَوْتَهُ»[2]

وأيضاً ورد عنه ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّ فَلَانًا فَأَحِبَّهُ، قَالَ : فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، قَالَ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ، وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَيَقُولُ: إِنِّي أُبْغِضُ فَلَانًا فَأَبْغِضْهُ، قَالَ فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُوهُ، قَالَ: فَيُبْغِضُونَهُ، ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ»[3]

إذا كل هذه الأدلة والشواهد من القرآن الكريم وأحاديث رسول اللهﷺ ، تدل دلالة قطعية أن البلاء شيء لا بد منه رضي الإنسان أم أبى، وأن البلاء في جوهره كناية عن محبة الله ورعايته الإلهية لعباده يمتن بها على من يشاء، كما أن الرخاء أيضاً ربما يكون نعمة أو نقمة أيضاً من الله تعالى.

---

(١)رواه الترمذي ٤٧٦/٣.

(٢)المسند للشاشي ٣/ ٩٠.

(٣)صحيح مسلم ٤/ ٢٠٣٠.

أما أسباب الابتلاء:

فهي تنقسم في قسمين:

١ - إما تطهير للعبد من الذنوب والمعاصي وكفارة له عند الله من السيئات وهذا يخص العبد العاصي ونجد مصداق ذلك في قوله «مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ وَصَبٍ وَلَا نَصَبٍ وَلَا سَقَمٍ وَلَا حَزَنٍ حَتَّى الهم يُهمُّهُ إِلَّا كَفَّرَ الله بِهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِ» (١)

وفي حديث آخر: «حتى الشوكة يُشَاكُهَا إِلَّا كُفْرَ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ».

٢ - والقسم الثاني يخص عباد الله الصالحين وهؤلاء يكون البلاء لهم رفعاً لدرجتهم في الجنة وأنبياء الله ورسله هم في مقدمة المبتلين والممتحنين و على رأسهم سيدنا محمد ﷺ وهو قدوتنا في هذا الجانب فقد وضع السلى، (أمعاء وأحشاء الذبيحة) على رأسه الشريف وشج وجهه، وحوصر في الشعب حتى أكل ورق الشجر، وطرد من مكة، وكُسرت ثنيته، ورمي عرض زوجته الشريف، وقتل سبعون من أصحابه وفقد ابنه وكل أبنائه وبناته عدا فاطمة في حياته، وربط الحجر على بطنه من الجوع، واتهم بأنه ساحر وكاهن ومجنون وكاذب ((صانه الله عن ذلك))، وكل هذا بلاء وتمحيص لا أعظم منا.

ثم لو استعرضنا كثير من أنبياء الله ورسله لوجدناهم في مقدمة المبتلين ومن أفضل عباد الله الصابرين فهناك إحراق سيدنا إبراهيم بالنار ثم خروجه من وطنه ثم ابتلائه بذبح ابنه ووحيده.

وأيضاً سيدنا أيوب الذي ابتلاه الله بالمرض سنوات عديدة وأعوام مديدة وفقدان ماله وكل أولاده.

---

(١) فتح القدير للشوكاني ٥٩٩/١.

وأيضاً سيدنا يعقوب الذي ابتلى بضياع ابنه وقرة عينه سيدنا يوسف عليه السلام وقد ذهب بصره لكثرة بكائه عليه وكذلك سيدنا يوسف الذي ابتلي بحسد أخوته ورميه في البئر ثم أسره وبيعه كما تباع العبيد وأخيراً رميه في غياهب السجن لعدة سنوات، فكان من كربة إلى كربة.. ومن محنة إلى محنة.. وغيرهم الكثير فإن أشد الناس بلاء هم الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الناس على قدر دينهم فمن كان في دينه شدة شُدد له في الابتلاء ومن كان في دينه رخاوة وضعف خفف عنه في الابتلاء.

كيف نواجه الابتلاء؟!

يجب علينا بعد معرفة جوهر الابتلاء وأسبابه أن نواجهه بالصبر والرضى والتسليم بقضاء الله تعالى.

والصبر: هو منع النفس عن السخط والجزع والتذمر من قضاء الله لأن كل ما يقدره الله للمؤمن هو خير لقوله ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَقْضِي اللَّهُ لِلْمُؤْمِنِ قَضَاءً إِلَّا كَانَ خَيْرًا لَهُ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»[1].

وقوله تعالى: {وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى ان تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}[سورة البقرة : ٢١٦]

وورد في الأثر أن سيدنا موسى عليه السلام راى في طريقه رجالاً صالحاً قد افترسته الوحوش والسباع ومزقت لحمه و نهشت كبد فتعجب سيدنا موسى وقال «يا رب عبدك كتبت عليه هذه الميتة مع وهو رجل صالح ؟ فقال يا موسى .. إن عبدي هذا طلب درجة في الجنة لم يبلغها عمله فابتليته بهذه الميتة حتى يصل لتلك الدرجة».

---

(١)صحيح مسلم (٨ /٢٢٧) ، وأحمد (٤ / ٣٣٢، ٣٣٣،٦/ ١٦،١٥).

الصبر

والصبر لا يستطيعه المبتلى لوحده فيجب عليه أن يطلبه من الله تعالى،

وأن يسأله سبحانه أن يفرغ على قلبه الصبر والثبات حتى يتحمل ابتلائه وقد وصف الله تعالى هذه الحالة من الشدة والكرب في قصة أم سيدنا موسى وكيف أن الله صبرها وربط على قلبها في قوله {لولا أن ربَطْنَا عَلَى قَلْبِها لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} [سورة القصص: ١٠]

وسؤال المؤمنين له سبحانه {رَبَّنا أفرغ عَلَيْنَا صَبْرًا} [سورة البقرة: ٢٥٠].

وقوله ﷺ: {مَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفهُ اللهُ، وَمَا أَجِدُ لَكُمْ رِزْقًا أَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ} [1] أي من يطلب من الله الصبر ويلزم نفسه عليه فإن الله يمن عليه بالصبر والثبات في المحن والابتلاءات.

قد مدح الله الصبر في مواطن كثيرة، وأمر به، وجعل أكثر الخيرات مضافاً إليه، وأثنى على كل صابر، وأخبر أنه سبحانه وتعالى معه.

ففي قوله تعالى: {يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاوةُ إِنَّ اللَّهَ معَ الصَّابِرِينَ} [البقرة: ١٥٣].

فبدأ بالصبر قبل الصلاة، ثم جعل نفسه مع الصابرين دون المصلين.

قول تعالى: {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا}
[سورة السجدة: ٢٤].

بالجملة فقد ذكر الله تعالى الصبر في كتابه العزيز في نيف وسبعين موضعاً، وأمر نبيه ﷺ به فقال تعالى: {فَأَصْبَرَ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَهُمْ} [سورة الأحقاف: ٣٥].

---

(١) مسند أحمد ١٧ / ١٥٥.

قال سيدنا محمدﷺ لعائشة رضي الله عنها: «يَا عَائِشَةُ إِنَّ الدُّنْيَا لَا تَنْبَغِي لمُحَمَّدٍ وَلَا لِآلِ مُحَمَّدٍ، يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَرْضَ مِنْ أُولِي الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ إِلَّا بِالصَّبْرِ عَلَى مَكْرُوهِهَا وَالصَّبرِ عَلَى محَبُوبِهَا، ثُمَّ لَمْ يَرْضَ مِنِّي أَنْ يُكَلِّفَنِي مَا كَلَّفَهُمْ فَقَالَ: {فَأَصْبَرَ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لهَمْ}، وَإِنِّي وَاللَّهُ لَأَصْبِرَنَّ كَمَا صَبَرُوا جُهْدِي، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ» [1]

- في الأثر أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه الصلاة والسلام «يا داود من صبر علينا وصل إلينا».
- قال وهب بن منبه «إذا سلك بك طريق البلاء، سلك بك طريق الأنبياء».
- قيل الحوادث المؤلمة مكسبة لحظوظ جليلة، أما ثواب مدخر أو تطهير من ذنب وتنبيه من غفلة أو تعريف القدر نعمة.
- عن أبي سعيد الخدري أنه قال: قال رسول اللهﷺ: «مَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبرهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ، وَمَنْ يَسْتعففْ يُعِفَّهُ اللهُ، وَمَا أَجِدُ لَكُمْ رِزْقًا أَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ » [2].

كلنا يعرف قصة عروة بن الزبير، الذي وفد إلى الوليد بن عبدالملك مع ابن له، فأصابت الأكلة رجله في الطريق، وعندما وصل إلى قصر الخليفة، ورأى الأطباء رجله، قرروا قطعها حتى لا ينتشر المرض إلى بقية الرجل، فأشار عليهم بقطعه حين يدخل في الصلاة، وفعلاً تم قطع رجله، وفي تلك الأثناء سقط ابنه من سطح الأسطبل، فمات من ساعته وعندما أفاق ابن الزبير من إغمائه بسبب الألم من قطع رجله وصله الخبرين في وقت واحد قطع رجله ووفاة ابنه، فقال هذا الصحابي الجليل «الحمد لله أعطاني أربعة أطراف وأخذ واحداً، وأعطاني أربعة أولاد وأخذ واحداً، فإن كان أخذ لطالما أعطى، وإن كان ابتلى فلطالما عافى، فله الحمد فيها أخذ وأعطى،، وابتلى وعافا، بينما هم كذلك إذ وفد على الوليد وفد من

(١)ابن كثير ٧/ ٢٨٨.

(٢)سبق تخريجه.

بني عبس، وفيهم شيخ ضرير، وعندما سأله الوليد عن قصته قال: «أنه كان أغنى رجل في بني عبس ، فنزل يوماً بكل أهله وماله في أرض هي مجرى للسيل، فجاء السيل يوماً، فاحتمل الخيام والناس والأنعام، ولم يبقى له سوى جمل عبرة وطفل رضيع فذهب إلى جمله ليرجعه فرفسه في وجهه حتى أذهب بصره، وعند ذلك سمع صرخة الرضيع، فالتفت إليه فوجد رأس الذئب في بطنه وقد افترسه ففي ساعة واحدة ذهب ماله وأهله وبصره، فقال الوليد وكيف أنت الآن؟؟ قال الشيخ بكل سكينة وإيمان: راضي عن ربي، فقال الوليد خذوه إلى عروة ليعلم أن هناك من هو أعظم مصيبة منه».

لماذا الصبر ؟!

سؤال مهم يجب عليك أخي المبتلى أن تعرف إجابته حتى تستطيع أن تلزمه وتطلبه وتحافظ عليه.. وأقول لك أولاً كما قال الحكماء الأقدمون «أن الصبر حيلة من لا حيلة له» فإذا لم تصبر فماذا عساك أن تفعل هل تجزع وتسخط وتتذمر ..!! ثم ماذا سيكون؟! لا شيء سوى أنك ستحبط أجرك وتفقد عند الله ثوابك وتعين البلاء على نفسك لأن الإنسان الساخط الجازع أكثر ضعفاً ومعاناة وألماً في مواجهة بلائه بسبب نفسيته المتعبة المنهكة من الإنسان الصابر الثابت والذي يتمتع من الله عادة بنفسية مطمئنة قوية ومرنه .. وصح عنهﷺ «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، جَفَّ الْقَلَمُ عَلَى مَا أَنْتَ لاقٍ» [1].

ثم أن هناك الأهم في الابتلاء هو الاجر من الله تعالى، لأن المصيبة (أياً كانت) قد وقعت وانتهى الأمر {وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالجوع و وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ} [سورة البقرة: ١٥٥].

---

(١)معارج القبول بشرح سلم الوصول ٣/٩٣٠.

أي أن الابتلاء قضاء وقدر لا بد أن يصيب كل من هو مقدر له الإصابة به، وعليك المحافظة على الأجر بالصبر وَبَشِّرِ ٱلصَّابِرِينَ (١٥٥) ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ (١٥٦) أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ (١٥٧)} [سورة البقرة: ١٥٥ - ١٥٧].

ويقول تعالى (إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ) [سورة الزمن: ١٠]

وكثير من العلماء فسروا قوله تعالى: {بِغَيْرِ حِسَابٍ} أنه غير معلوم لنا حجم ومقدار ثواب المبتلى الصابر عند الله تعالى لكثرته وعظمته.

وورد في حديث آخر: «يود أهل الْعَافِيَةِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ حِينَ يُعْطِي أهل البلاء ثوابهم لو أن جُلُودهمْ كَانَت قرضت في الدُّنْيَا بالمقاريض»[1] ،أي المناشير، بما يروا من ثواب المبتلى يوم القيامة.

وذُكرت في أحد الحكم «أن الصبور يدرك أحمد الأمور».

وورد في القرآن على لسان سيدنا يوسف عليه السلام بعد نزول فرج الله عليه وكشف الغمة عنه، وزوال المحنة عنه وعن والده فقال: {إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ} [سورة يوسف: ٩٠].

إذاً أول شيء نفعله حينما تنزل بنا المصيبة هي الصبر وأن تحمد الله وتسترجع فتقول «الحمد الله إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتي وأخلف لي بخير منها» ،كما علمنا سيدنا محمدﷺ فإنه من قال هذه الكلمات أول ما تنزل عليه المصيبة كُتب له أجرها وعوضه خيراً في مصيبته أياً كانت والصبر دائماً يكون عند الصدمة الأولى، أي في أكثر إحساس الإنسان بالألم والكرب والشدة.

---

(١)إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات ٢٠٩/١.

وبعد الصبر واحتساب الاجريات البحث في الأسباب المؤدية حصول المفرج، فكما أن البلاء سنة كونية كذلك الفرج سنة من سنن الله في الحياة ملازمة للبلاء.

يقول تعالى: «فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا(٥)إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يسرا»[سورة الشرح ٥-٦]

وفيها يعلق سيدنا علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لا يغلب عسراً واحداً يسرين»

ويقول تعالى: {سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا} [سورة الطلاق: ٧]

ويقول تعالى: {وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل له مخرجا (٢) ويرزقه من حيث لا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ} [سورة الطلاق: ٢ - ٣].

وقوله تعالى: {قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (٦٣) قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ} [سورة الأنعام: ٦٣ - ٦٤] .

والآيات كثيرة في التأكيد على أن الفرج لا بد منه حتى لو طال أمد الابتلاء واستمرت فترته ثم هناك أحاديث النبيﷺ.

«احْفَظ اللّه تَجِدْهُ أَمَامَكَ، تَعَرَّفْ إِلَى اللّه فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ في الشِّدَّةِ، وَاعْلَمْ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لِمَ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُن لِيُخْطِئكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مع الْعُسْرِ يُسْرا» [1]

وسُئل ﷺعن معنى الآية: {كُل يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ} [الرحمن: ٢٩]،

فقال: «مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَغْفِرَ ذَنْبًا وَيُفَرِّجَ كَرْبًا وَيَرْفَعَ اقواماً وَيَضَعَ اخرين»،

قال الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ما أخذ الله من عبد نعمة فعوضه عنها بالصبر إلا كان ما عوضه خيراً مما أخذه».

---

(١)شرح الطحاوية ٢٤٣/١.

وقال آخر: «الصبر كنز من كنوز الخير لا يعطيه الله إلا لعبد كريم عنده».

وبعد الصبر انتظار الفرج من الله تعالى هنالك أسباب تساعدنا على حصوله ونزوله على المبتلى وأهمها:

الصلاة

يقول تعالى: {وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ (٤٥)} [سورة البقرة: ٤٥] .

أي استعينوا على مصائبكم وابتلاءاتكم بالصبر، واستعينوا علي الصبر بكثرة الصلوات فرض ونافلة لأن أكثر الناس صلوات هم أشدهم صبراً، وأعظمهم ثباتاً، فالصلاة هي وقود الصبر وطاقته لأنعها صلة للعبد مع ربه الذي بيده نعمة الصبر يمن به على من يشاء من عباده.

اختلف في اشتقاق اسم الصلاة:

فقيل هي الدعاء: وهي معروفة في كلام العرب.

وقيل سميت بذلك من الرحمة قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ وملائكته يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ} [سورة الأحزاب: ٥٦].

فهي من الله رحمة، ومن الملائكمة استغفار، ومن الناس دعاء.

والصلاة تقيم العبد على طاعة مولاه وخالقه، وتنهاه عن معصيته،

قال تعالى: {إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ} [سورة العنكبوت: ٤٥].

وقيل لأنها صلة بين العبد وربه.

وفي الأثر «أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام:يا داود كذب من ادعى محبتي. وإذا جن عليه الليل نام عني، أليس كل محب يحب الخلوة بحبيبه».

كان سيدنا محمد ﷺ وهو حبيب الله تعالى، المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر يقوم في صلاته حتى تفطرت قدماه الشريفتين، وكانت دموعه تقع في مصلاه كقطر المطر.

قال حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة». وكان يقول عليه أفضل الصلاة والتسليم لبلال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «يا بلالُ أرحنا بالصلاة»[1].

وهنا نتحدث عن الصلاة الحقيقية كما كان يؤديها النبي ﷺ «ومن سار على نهجه من الصحابة التابعين، وسائر الصالحين، وذلك بكل ما تتضمنه من معاني الخشوع، وحضور القلب، واستحضار وجود العبد بين يدي مولاه ،وخالقه، فإن العبد إذا نطق بتكبيرة الإحرام، ودخل في الصلاة، التفت الله سبحانه وتعالى إليه، فإن أداها بقلب حاضر، فإن يخرج منها مرتاح النفس مطمئن القلب ثابت اليقين، ويتخلص من كل همومه وأحزانه، وكأنها قد غسلت غسلاً في صلاته، وذلك لأن الله وتعالى يمده في صلاته الخاشعة هذه بعونه وتأييده».

أما الصلاة التي يؤديها الكثير منا اليوم، والتي هي حركات قيام وسجود، وعادات أكثر مما هي عبادات والقلب فيها لاهٍ غافل في شعاب الدنيا وأوديتها، بعيد عن الله تعالى حتى أثناء الصلاة فالكثير يشكو أنها لم تشكل فارقاً بالنسبة له، ولا يحس بتأثيرها على نفسه، والعيب فيه هو إذ لم يؤديها كما يجب أن تؤدى.

إنها نور القلب، وصلة الروح بين العبد وخالقه، وأفضلها الصلوات الخمس المكتوبة، ثم صلاة الليل، والتي هي خلوة العبد المحب مع الخالق الحبيب، فقد قال عنها النبي ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ فَإِنَّهُ دأب الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَقُرْبَةٌ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ، وَمَكْفَرَةٌ لِلسَّيِّئَاتِ، وَمَنهاة عَنِ الْإِثْمِ»[2]، وكثيرون والله ممن يحافظون عليها وعلى بقية الصلوات يعرفون ويؤكدون تأثيرها الكبير الرائع على روح وجسم الإنسان.

---

(١)رواه الإمام أحمد (٣٦٤/٥) ، عن رجل من أسلم (صحابي) الحديث، انظر صحيح البخاري (٧٨٩٢) .

(٢) تفسير البغوي-إحياء التراث ٥٩٩/٣.

كما أنه معروف أن الصلاة دافعة للهم شافية من الداء، مريحه للقلب، مرضية للرب.

وأفضل الصلوات بعد الخمس المكتوبة هي صلاة الليل، وخاص في الثلث الأخير منه، فإنها من أعظم الطاعات وأفضل الأسباب المؤدية إلى الصبر وسرعة حصول الفرج للعبد المبتلى.

الدعاء

مفتاح الفرج الرئيسي هو الدعاء المستمر والإلحاح فيه والمداومة عليه وعدم اليأس مهما تأخرت فترة الإجابة لأن الله يحب الملحين في الدعاء، ويرضى عمن يلزمون بابه داعين مستغيثين.

{وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عن عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} [سورة غافر: ٦٠].

{أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خلفاءَ الْأَرْضِ} [سورة النمل: ٦٢] .

{وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِى فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ} [سورة البقرة: ١٨٦].

ومعروف أن الدعاء سلاح كل مكروب ومبتلى في كشف الضر وإزالة البلاء، ورد في حديث لرسول الله ﷺ «الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل فعليكم عباد الله بالدعاء»(١).

وللدعاء ثلاث حالات مع القضاء:

- أما أن يرد القضاء.
- أو يلتقيان في السماء فيعتلجان «أي يتصارعان»، حتى يشاء الله تعالى.
- أو يصرف الله به شر آخر كان مقدر للإنسان الوقوع به.

وأعلم أخي المبتلى أن دعائك لا يضيع أبداً عند الله تعالى، لانه سبحانه هو من أمرنا بالدعاء ووعدنا بالإجابة في قوله تعالى: {ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} [سورة غافر: ٦٠].

---

(١) رواه الحاكم وهو حسن (انظر صحيح الترغيب والترهيب برقم ١٦٣٤).

وعندما جاء إعرابي إلى رسول الله يسأله: «أربنا بعيد فنناديه أم قريب فنناجيه» نزلت الآية {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِي فَإِلي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ} [سورة البقرة: ١٨٦].

وأسمع الآن من يردد في نفسه أنه دعى في بعض الأمور لكن لم يرى استجابة لدعوته !!

أقول لك أنه ربما لم تلتزم في دعوتك بشروط الدعاء الأقرب إلى الإجابة والتي سأوردها لاحقاً، أو أن الله تعالى أدخر لك دعوتك إلى يوم القيامة، والتي ستكون سبباً في زيادة عطاياك في الجنة، لدرجة أن الكثيرين سيتمنون لو أن الله لم يستجب لهم أي دعوة في الدنيا وأدخرها لهم ليوم الآخرة.

- فقد ورد «أن الناس حينما يستقرون في الجنة تأتيهم الملائكة بالتحف والهدايا من الله تعالى ويقولون لهم هذه دعواتكم التي لم تستجب لكم في الدنيا قد أدخرها الله لكم إلى الآخرة».
- وأوحى الله تعالى إلى موسى «يا موسى أطلب مني ملح قدرك وأن أصلح لك شراك نعلك»، والله سبحانه وتعالى يغضب من الذي لا يدعوه، فإن ذلك دليل استكبار في نفس العبد على مولاه وخالقه».
- يقول الله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} [سورة غافر : ٦٠].
والعبادة في هذه الآية تعني: الدعاء.
وكلما كان الإنسان حريصاً على طاعة الله، مؤدياً لما افترضه عليه من فروض و نوافل، كلما كان أقرب إلى إجابة دعائه، ففى قصة سيدنا يونس عليه السلام حينما التقمه الحوت.
- أورد أنس بن مالك حديثاً مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ «إن يونس عليه السلام حين بدا له أن يدعو الله عز وجل بالظلمات حين ناداه إلى

وهو في بطن الحوت، فقال: اللهم {لا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي إلى كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ} [سورة الأنبياء: ٨٧].

فأقبلت الدعوة تحف العرش، فقالت الملائكة: يا رب هذا صوت ضعيف مكروب، من بلاد غربة.

فقال: أما تعرفون ذاك؟ قالوا: ومن هو؟ قال: ذاك عبدي يونس، الذي لم يزل يرفع له عمل متقبل، ودعوة مجابة.

قالوا يا رب أفلا ترحم ما كان يصنع في الرخاء، فتنجيه من البلاء؟ قال: بلى، فأمر الحوت فطرحه في العراء»[1]

وهذا دليل على أن العمل الصالح لسيدنا يونس في رخائه، هو من انبياء الله عليهم الصلاة والسلام قد نفعه أثناء كربته ومحنته بعد ذلك وكان سبباً في نزول الفرج عليه، وخروجه من جوف الحوت كما أن خطأه في مغادرة أرضه التي كان يدعو فيها قبل أن يأذن الله له كان سبباً في كربته.

وأيضاً روى البخاري في «صحيحه» من حديث أنس بن مالك ،قال: قال رسول اللهﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال «من أهان لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب إلي عبدي بمثل ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذ بي لأعيذنه»[2]

---

(١)رواه ابن أبي الدنيا في المرض، والكفارات ص (١٥٦)، والفرج بعد الشدة ص (٦٧)،ابن كثير في تفسيره (٣٨/٤)

(٢)رواه البخاري في الرقاق (٦٥٠٢).

ولو أن العبد أطاع الله حق طاعته لكانت دعوته مجابة، ولأطاعه الله تعالى فيما يدعو به، فقد قال أبو طالب لسيدنا محمد : «يا ابن أخي ما أرى ربك إلا يطيعك» !!. فقال له النبي ﷺ: «وأنت يا عم لو أطعته أطاعك» [1].

إذاً كل ما سبق يدلك أخي المبتلى على أهمية الدعاء ومكانته، وخاصة إذا اشتدت الكروب وضاقت عليك الهموم، فسارع إلى من بيده مقاليد السموات والأرض، داعياً ومتذللاً وراجياً وهنا لفتة بسيطة إلى العبد العاصي، أن لا تيأس من الدعاء، ولا تجعل ذنوبك ومعاصيك حاجزاً بينك وبين الرجوع إلى إلهك وسيدك ومولاك أثناء كربك ومحنتك، فإنك بمجرد أن ترفع يديك إليه، ويهتف لسانك باسمه ويمتلأ قلبك برجائه، فإنه سبحانه سيغفر لك، ويفرج عنك كربتك.

- ورد في الأثر أن سيدنا موسى حينما ذهب للقاء ربه قال: «يا رب مررت في طريقي إليك برجلين يدعوانك أحدهما صالح والآخر مذنب فماذا قلت للرجل الصالح؟! فقال له الله : قلت لبيك عبدي فقال موسي: وماذا قلت للمذنب؟ قال الله تعالى: قلت له لبيك عبدي.. لبيك عبدي.. لبيك عبدي.. فتعجب موسى وقال: يا رب كررتها للمذنب ثلاثاً !! فقال الله: يا موسى إن عبدي الصالح دعاني وهو يعلم أن له عمل صالح سيساعده على إجابة دعائه لكن عبدي المذنب هتف بي وقال: يا رب وهو منيباً لي وكل رجائه في وحدي فلم أرد أن أخيبه وأرد رجائه».

---

(1) رواه البخاري في التاريخ الكبير (٢١٦/٨) والبيهقي في الدلائل (١٨٤/٦) في سند الهيثم بن جماز الحنفي ضعيف.

إذاً أيها المبتلى لا تقنط من رحمة الله، ولا تيأس من الدعاء، حتى لو أسرفت على نفسك الذنوب والمعاصي، حاول أن تتلخص من ذنوبك، وتقلع عن معاصيك، وتب إلى الله تعالى وارفع يديك بالدعاء، وستجده سبحانه أقرب إليك بفرجه ورحمته وكرمه.

شروط الدعاء:

١ - إخلاص النية الله وحده.

من شروطه لا يجب إشراك الله تعالى في شيء من الخوف أو التوكل أو الاستغاثة أو الرجاء، بل يجب على الداعي وهو يدعو أن يكون موقنًا بكل جوارحه، وظاهره وباطنه، أن الله وحده هو المالك المدبر لهذا الكون، ولا ند، ولا شريك له سبحانه وتعالى.

٢ - البعد عن الحرام:

لأنه من الأسباب المؤكدة في عدم استجابة الدعاء لحديث رسول اللهﷺ «ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَهُ إِلَى السَّمَاءِ رَبِّ يَا رَبِّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ وَغُذْيَ بِالحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ» [1].

حضور القلب عند الدعاء «لأن الله لا يستجيب من قلب لاهٍ غافل».

٣ - تحري أوقات الاستجابة:

مثل الثلث الأخير من الليل بين الآذان والإقامة، حين السجود حين نزول المطر، عقب الصلوات.

---

(١)أخرجه مسلم في الزكاة - باب: قبول الصدقة من الكسب الطيب برقم (١٠١٥) ٢/٧٠٣، والمصنف في شرح السنة: ٨ / ٧-٨.

٤- استقبال القبلة من الامور المستحبة عند الدعاء لكنها ليست من شروطه:

مما يستحب البدء بحمد الله وتمجيده ثم الصلاة على رسول اللهﷺ وختم الدعاء بالصلاة على رسول اللهﷺ.

يستحب أيضاً رفع اليدين ومبالغة التذلل عند الدعاء

٥- حسن الظن بالله تعالى وعدم استعجال الإجابة:

لحديث رسول اللهﷺ : «إن الله يجيب دعوة العبد ما لم يعجل»[1]

أي: ما لم يستعجل، يقول: دعوت ودعوت فلم يستجب لي، فيترك الدعاء.

وقوله تعالى في حديث قدسي «أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء».

وهناك من يستجاب لهم دعاءهم ولو بعد حين وهم:

١- الصائم حتى يفطر.

٢- الوالد لولده.

٣- المظلوم.

٤- وهناك من أضاف أيضاً المسافر ودعوة المسلم لأخيه المسلم على ظهر الغيب.

---

(١)شرح العقيدة الواسطية للغنيمان ٧/٨.

٦- البث أو النجوى أو الشكوى:

نوع من أنواع الدعاء لكنها لا ترتبط بزمان ولا مكان ولا وضعية معينة، فهي أقرب إلى «الفضفضة»، كما يقال عنها بالعامية، وهي أن تناجي الله تعالى، وتبث إليه همومك وأحزانك، وهذه درجة عالية من درجات الصحبة والتوكل عليه سبحانه، أن تجعله صاحبك القريب الذي تبثه ما في نفسك وتلجأ إليه في كل حالك، وهذه الصورة الشفافة لعلاقة الصحبة بين العبد وربه وجدناها عند سيدنا يعقوب مثلاً عند ضياع ابنه وهو يقول: {إِنَّمَا أَشْكُوا بثي وَحُزْنِي إِلَى اللَّه وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ} [سورة يوسف: ٨٦].

وجدناها في مناجاة سيدنا محمدﷺ عند رجوعه من الطائف وهو في أشد حالات الحزن والكرب، يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْكُو إِلَيْكَ ضَعْفَ قُوَّتي وَقِلَّةَ حِيلَتِي وهواني عَلَى النَّاس» [1] ، إلى آخر تلك المناجاة الصادقة، وذلك البث العميق لسيدنا محمد ﷺ وكل الصالحين والأبرار، لهم تلك الصلة العميقة، في اتخاذ الله سبحانه وتعالى هو الصاحب في الوحدة والأنيس عند الوحشة.

أخي المبتلى:

كيف تظن أن الله تعالى لا يسمع دعاءك، ولا يجيب نداءك، وهو سبحان يسمع ويستجيب للنملة السوداء، على الصخرة الصلداء في الليلة الظلماء.

- ورد في كتب الأثر السابقة أن سيدنا سليمان عليه السلام خرج مع أصحابه وحاشيته يستسقون يوماً بسبب الجفاف، فوجد نملة صغيرة قد رفعت قوائمها تدعو الله وتستغيثه أن ينزل المطر، فالتفت عليه السلام إلى من حوله وقال لهم عودوا فقد كفيتم بدعاء غيركم.

---

(١)تفسير البغوي - إحياء التراث ٤ /٣٠٢.

- وأن سيدنا داود عليه السلام ظل يسبح الله تعالى ويشكره طوال ليله كاملة من المساء إلى الصباح وفي الصباح نادى الله تعالى «يا رب هل شكرك أحد أكثر مني الليلة السابقة؟ فأوحى الله إليه نعم يا داود الضفدعة».
- وفي محنة سيدنا يوسف عليه السلام- وهو في الجب خائفاً يناجي ربه، أوحى الله إليه يا يوسف انظر إلى يمينك فنظر فوجده صخرة صغيرة، انشقت نصفين ووجد بداخلها دودة تأكل ورقة خضراء، فأوحى الله إليه «يا يوسف لم أنس الدودة من رزقي أفأنساك وأنت نبي ابن نبي».

«إن إله يستجيب لدعاء ،نملة، ويشكر تسبيح ضفدعة، ولا ينسى من رزقه دودة، هو إله بالإجابة جدير، ثق بذلك أخي المبتلى، وتوجه بيقينك إليه وتوكل عليه وحده».

أكرر مرة أخرى إليك أخي المبتلى أن لا تجعل الذنوب والمعاصي حائلة بينك وبين أن نتوجه بالدعاء إلى الله تعالى، فقد قال سفيان بن - عيينة ولا تجعل ذنوبك حائلة بينك وبين دعائك فقد استجاب الله دعاء من هو أسوأ منك وهو إبليس - عليه لعنة الله - {قال رب فَانظُرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ} [الحجر: ١٣٦]، فقال الله له: {فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ إلى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ} [الحجر: ٣٧ - ٣٨] فلا تيأس أخي المبتلي.

الذكر

يقول الله تعالى: {أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ} [سورة الرعد: ٢٨].

وعندما يذكر الله شيئاً في كتابه العزيز، فإنه يكون يقين وحقيقة لا مجال لأحد بالتشكيك فيها، وبالتالي فإن ذكر الله تعالى فيه طمأنينة وسكينة للقلوب وخاصة القلوب التي تكتوي بنيران الهم والغم والحزن والكرب، لأن الله وحده هو من بيده تفريج هذه الكرب، وإزالة هذه الهموم والأحزان.

ورد في حديث قدسي «أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه». وانظر هنا أخي المبتلى إلى روعة كلمة «مع» فهذا دليل على معية الله لك، وصحبتك لك طالما كان لسانك رطباً بذكره سبحانه وتعالى، وأتساءل إذا كان الله معك فممن تخاف وعلى ماذا تحزن، ولماذا الهم والخوف؟

لأن من كان الله معه، كان الكون كله الكون كله معه، حتى لو وقف الناس السيئين ضده وآذوه وكادوا له، سيجعل الله له فرجاً ومخرجاً، ويستنصره الله تعالى، ولو بعد حين.

ولكل كرب وشدة ذكر لنا النبيﷺ نوع من الذكر نلزمه لمقابلة هذه الشدة.

١- للفقر وتأخر الرزق والكرب إلزم الاستغفار وقول: «لا إله إلا الله».

٢- الصلاة على رسول الله ﷺ.

٣- دعاء سيدنا يونس عليه السلام {لا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبحانك إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ} [سورة الأنبياء: ٨٧].

٤- الله .. الله ربي لا أشرك به شيئاً.

٥- الهموم والغموم والأحمال الثقيلة «لا حول ولا قوة إلا بالله».

ذُكر في الكتب أن الملائكة حينما حملت عرش الرحمن، ثقل عليها حمله، فأوحى الله إليهم بترديد «لا حول ولا قوة إلا بالله»، فقالت فسهل عليها حمل العرش.

وذُكرت قصة أن رجلاً جاء إلى أحد الصالحين، يشكو إليه أسر ولده في بلاد الروم ويسأله أن يساعده بطريقة لتخليص ولده من الأسر، فقال له الرجل الصالح أكثر من قول «لا حول ولا قوة إلا بالله»، فعاد الرجل إلى بيته ولزم هذه العبارة الجليلة، ولم ينتهي إلا وابنه يطرق الباب، وعندما سأله كيف أطلق سراحه، قال الولد أنه لا يعلم من أطلق سراحه غير أن القيود قد تحطمت فجأة في يديه ورجليه، ورأى أن الباب مفتوحاً فهرب منه وعاد إلى أهله.

٦- للأعداء: فعند مجابهة عدو ماكر أو كائد خفي:

ترديد {حسبي الله ونعم الوكيل» فالله تعالى يقول {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} [سورة آل عمران: ١٧٣] .

ثم يذكر سبحانه وتعالى نتيجة هذا التفويض له والتوكل عليه في بقية الآية {فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ} [آل عمران: ١٧٤].
ومن الأذكار المستحبة أيضاً عند مجابهة الأعداء:

١- اللهم أكفنيهم بما شئت وكيف شئت إنك على كل شيء قدير.

٢- اللهم أنت عضدي، وأنت نصيري، بك أحول، وبك أجول، وبك أصول، وبك أقاتل.

٣- اللهم منزل الكتاب سريع الحساب، هازم الأحزاب، اللهم أهزمهم وزلزلهم.

٤- الله أكبر، الله أعز من خلقه جميعاً، أعز مما أخاف وأحذر، أعوذ بالله الذي لا إله إلا هو ممسك السموات السبع أن يقعن على الأرض إلا بإذنه من شر عبدك (فلان) وجنوده وأتباعه وأشياعه من الجن والإنس اللهم كن لي جاراً من شرهم، جل ثناؤك، وعز جارك وتبارك اسمك، ولا إله غيرك «ثلاث مرات».

أذكار الصباح والمساء:

وهذه معروفة، وموجودة في كتيبات كثيرة، تباع في كل مكان تقريباً، وهذه من الأشياء الهامة لكل إنسان.

ورد في حديث قدسي: «عبدي أذكرني ساعة بعد الفجر وساعة

بعد العصر أكفيك ما بينهما»

٣- المداومة على الذكر وخاصة الاستغفار أكثر منه أخي المبتلي بقدر ما تستطيع ففي الحديث «مَنْ أَكْثَرَ الاسْتِغْفَارَ جَعَلَ اللهُ له من كُلِّ هَمْ فَرَجًا، وَمِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا»[1]

وقول سيدنا نوح لقومه: {فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّار يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً} [سورة نوح: ١٠ - ١٢].

وأيضاً الإكثار من لا حول ولا قوة إلا بالله فقد ورد في حديث للنبي ﷺ: «استكثروا من الباقيات الصالحات التسبيح، والتهليل والتحميد، والتكبير، ولا حول ولا قوة إلا بالله»[2]

---

(١)التفسير الوسيط للواحدي ٣١٤/٤.

(٢)رواه أحمد وابن حبان والحاكم عن أبي سعيد رضى الله عنه.

- ومن الأذكار المستحبة عند الكرب دعاء سيدنا النبي المكروب يونس عليه السلام {لَا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ} [الأنبياء: ٨٧].

ورد عن أسماء بنت عميس قالت: قال لي رسول اللهﷺ: (ألا أُعَلِّمُكِ كَلِمَاتٍ تَقُولِينَهُنَّ عِنْدَ الْكَرْبِ -أَوْ فِي الْكَرْبِ- اللهُ.. اللَّهِ رَبِّ لا أُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»[1]

وفي لفظ: « مَنْ أَصَابَهُ هَمٌّ أَوْ غَمٌ أَوْ سَقَمٌ أَوْ شِدَّةٌ أَوْ أَذًى فَقَالَ: اللهُ رَبِّي لَا شَرِيكَ لَهُ كُشِفَ ذَلِكَ عَنْهُ»[2]

- قال جعفر الصادق:

١ - عجبت لمن بلي بالضر كيف يذهل عنه أن يقول: {مَسَّنِيَ الضر وأنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) [سورة الأنبياء: ٨٣]

والله تعالى يقول: {فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍ} [سورة الأنبياء: ٨٤].

٢- وعجبت لمن بلي بالغم كيف يذهل عنه أن يقول: {لا إِلَهَ إلا أنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ} والله تعالى يقول: {فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَالِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ} [سورة الأنبياء: ٨٨].

٣- وعجبت لمن خاف شيئاً كيف يذهل عنه أن يقول: {حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} [سورة آل عمران: ١٧٣].

والله تعالى يقول: {فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سوء} [سورة آل عمران: ١٧٤].

٤- وعجبت لمن كوبد في أمر كيف يذهل عنه أن يقول: {وَأُفَوِّضُ أَمْرِى إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرُ بِالْعِبَادِ} [سورة غافر: ٤٤].

---

(١)رواه أبو داود (١٥٢٥) وغيره، وحسنه الحافظ ابن حجر كما في الفتوحات الربانية (١٠/٤).

(٢) المعجم الكبير للطيراني ١٥٤/٢٤.

والله تعالى يقول: {فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا} [سورة غافر:٤٥].

٥- وعجبت لمن أنعم الله عليه بنعمة خاف زوالها كيف يذهل عنه أن يقول: {وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ} [الكهف: ٣٩].

قراءة القرآن الكريم

كلام الله سبحانه وتعالى، أنزله على عبده ورسوله سيدنا محمدﷺ وهو دستور الحياة كلها، به تطمئن القلوب، وتثبت الأفئدة، وهو من الأسس الهامة في فهم كل شيء، من بداية الخلق، وحتى نهاية الحياة.

قال الله تعالى: {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرءان لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ} [سورة القمر:١٧]

وسماه الله كريماً فقال: {إِنَّهُ لَقُرْءانٌ كَرِيمٌ} [سورة الواقعة: ٧٧].

وسماه حكيماً فقال: {يس والقُرءان الْحَكِيمِ} [سورة يس: ١-٢].

وسماه مجيداً فقال: {ق وَالْقُرءان الْمَجِيدِ} [سورة ق: ١]

وقال رسول اللهﷺ: «إِنَّ هذه القُلُوبَ لَتَصْدَأُ كَمَا يَصْدَأُ الحَدِيدُ»[١]

قيل: يا رسول الله وما جلاؤها ؟ قال : «قراءة القرآن وذكر الموت»[٢]

وبالإضافة إلى الأجر العظيم الذي يناله قارئ القرآن، بأن له في كل حرف حسنة كما أخبر النبيﷺ وأنه يرتقي في درجات الجنة بفضل حرصه على القرآن وتلاوته، وأن أهل القرآن هم أهل الله وخاصته، خاصة القارئ للقرآن والعامل بما فيه.

إضافة إلى كل ما سبق فإن قراءة القرآن بخشوع وتدبر واستحضار قلب، لها تأثير بالغ على كل إنسان سواء أكان قارئ أو مستمع، وخاصة وهذا مجال حديثنا لكل مكروب ومبتلى، وكل محزون ومهموم، فإن هذا الكتاب العظيم الدواء الشافي لكل طالب دواء، والإجابة المقنعة لكل

---

(١)تفسير السمرقندي- بحر العلوم ٦٤/٣.

(٢)رواه ابن شاهين في الترغيب في الذكر.

سائل حيران، والراحة والسكينة لكل من أثقلت الهموم والأحزان نفسه، والفرح الواسع لكل من استولت الكرب والمحن والشدائد على حياته.

أخي المبتلى:

إن بين يديك نعمة عظيمة، أنعم الله بها عليك، لكنك غافل عنها، إنه كلام الله تعالى لك، هيا الآن .. افتح المصحف.. أتلو الآيات. تدبر في المعاني.

وأنا أؤكد لك أن الكثير مما تعانيه من هم وغم وكرب، سوف ينجلي عنك، بل سيحل مكانها انشراح للصدر، وطمأنينة بالغة وهدوء نفسي عميق.

إن لم تستطع أن تقرأه أنت، فأستمع إلى قراءته من قارىء خاشع، واجعل لك وقتاً مخصصاً لذلك تبتعد فيه عن هذه الحياة بكل مشاغلها ومشاكلها وصخبها، وتخلو فيه مع كتاب ربك، وصدقني إنك ستلمس الكثير من الفارق في حياتك إذا التزمت بهذه النصيحة.

حسن الظن بالله

وقال رسول اللهﷺ في حديث عن جابر بن عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول قبل موته بثلاثة أيام «لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِرَبِّهِ»[1]

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال سمعت رسول اللهﷺ يقول: «جَعَلَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةٌ وَتِسْعِينَ جُزْءًا وَنَزَّلَ فِي الْأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا، فَمِنْ ذَلِكَ الْجُزْءِ تَتَرَاحَمُ الخَلَائِقُ حَتَّى تَرْفَعُ الدَّابَّةُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا خَشْيَةَ أَنْ تُصِيبَهُ»[2]

أخي المبتلى:

لو سألتك كيف ظنك بوالديك، إن كان فرج كربتك بيديهما، هل سيمنعانه عنك وأن تطلبه منهما ..؟

طبعاً وبكل تأكيد كلا.

ستقولها لي بسرعة وبكل ثقة وأنت متأكد من إجابتك، ومحسن الظن بهما إلى أبعد مدى.

- فلتعلم إذاً يا أخي أن الله أكثر رحمة بك، وقرباً منك، وحباً لك منهما.

---

(١)مسلم: الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٧٧) ، وأبو داود: الجنائز (٣١١٣) ، وابن ماجه: الزهد (٤١٦٧) ، وأحمد (٣ / ٢٩٣ ، ٣ / ٣١٥، ٣/ ٣٢٥، ٣/٣٣٠، ٣/٣٣٤).

(٢)البخاري (٤٣١/١٠) في الأدب، باب جعل الله الرحمة من مائة جزء.

- ففي حديث لعمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال : قدم إلى رسول الله ﷺ بسبي فإذا امرأة من السبي تسعى إذ وجدت صبيا في السبي أخذته فألزقته ببطنها فأرضعته فقال رسول اللهﷺ: «أترونَ هذة المرأة طارحة ولدها في النّارِ ؟! قلنا لا والله ! فقال: «الله أرحم بعباده من هذه بولدها»[1]

فلماذا إذاً لا تحسن الظن به سبحانه..؟؟ لماذا لا تبتسم وتتفاءل وأنت تعلم أن لك إله هو أرحم الراحمين.

- في قصة هجرة سيدنا محمدﷺ و عندما وصل كفار قريش إلى الغار، الذي كان يختبئ فيه وصاحبه، ووقفوا أمام الغار، قال أبو بكر الصديق «لو نظر أحدهم إلى تحت رجليه لرآنا يا رسول الله» فيرد عليه النبي ﷺ رد الواثق بربه، في حسن ظن أكيد بالله تعالى «مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا»[2] فيصرف الله أعين المشركين عنهم، ويعودوا خائبين.

هو إحسان الظن بالله تعالى وهو أن لا تشك لحظة واحدة وأنت في محنتك، إن الله عز وجل يمكن أن يتخلى عنك أو يخذلك، وأيضاً من معالم إحسان الظن بالله تعالى أن ترى في كل أقداره عليك خير مطلق لك، أياً كان هذا القدر منحة أو محنة.

---

(١)رواه البخاري (٥٩٩٩) كتاب الأدب / باب رحمة الولد، ومسلم (٢٧٥٤) في كتاب التوبة / باب في سعة رحمة الله عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢)البخاري (٧/٨-٩)في فضائل الصحابة.

وكلنا سمع بتلك القصة البليغة التي تحكي قصة وزير كان ظنه الله تعالى حسناً في كل حال ويرى الخير في كل أقداره سبحانه وتعالى- ودائماً يردد «هو خير إن شاء الله» وفي يوم من الأيام تعرض الملك الحادثة بسيطة قُطع فيها أصبعه فذهب إلى وزيره متألماً فقال له الوزير «هو خير إن شاء الله»، فغضب الملك بشدة وأمر بسجن الوزير لأنه رأى في قطع أصبعه خير، ثم بعد فترة خرج الملك للصيد في الغابة، وهناك ابتعد عن جنوده وتوغل في أعماقها، فرآه جماعة من إحدى قبائل المنطقة فأخذوه أسيراً إلى قبيلتهم، وفي القبيلة اتفق زعمائها على إلقائه إلى النار كقربان لها لأنهم كانوا يعبدونها، وكان ذلك يوم عيدهم بها، ولم تفلح محاولاته معهم إقناعهم في إطلاق سراحه، وازداد إصرارهم على تقديمه كقربان لآلهتهم بعد معرفة أنه ملك، لأن ذلك سيرضي آلهتهم أكثر، وفعلاً تمت استعدادات الاحتفال، وقام جماعة من حراس القبيلة بأخذ الملك إلى مكان الحفل، لكنهم عندما حملوه لإلقائه في النار وجدوا إصبعه مقطوعاً، فأعادوه إلى الأرض، ثم أطلقوا سراحه لأنه لا يمكن تقديم قربان إلى الآلهة وفيه عيب، فعاد الملك إلى بلاده سعيداً، وأمر بإطلاق الوزير من سجنه وقال له إنك كنت محقاً حينما قلت لي أن في قطع أصبعي ذلك خير ولكنني سمعتك تقول وأنا آمر الحراس بأخذك إلى السجن «هو خير إن شاء الله» فأين الخير في سجنك؟!».
فأجابه الوزير «لأني لو لم أكن في السجن لخرجت معك في رحلة الصيد تلك وعندئذ سأكون معك أيضاً في أسر تلك القبيلة والذين كانوا سيأخذونني ويرمون بي في النار عندما وجدوا العيب في أصبعك بديلاً عنك».

ولتعلم أخي المبتلى أن حسن الظن بالله تعالى هو أساس الصبر ومادته، فإن أنت لم تحسن الظن به سبحانه، وتثق بأنه سيفرج عنك كربتك، ويزيل محنتك، فإنك لن تصبر.

إذاً إحسان الظن بالله ينبثق منه الصبر وهذا يقود إلى الفرج في الدنيا والأجر العظيم في الآخرة.

لتعلم أخي المبتلى:

أن حسن الظن بالله، والتوكل على الله .. هما وجهان لعملة واحدة، فإن المتوكل على الله لا بد أن يحسن الظن به، وإلا فإنه لن يتوكل عليه، وسيصرف توكله ورجائه لمن سواه وهذا لن يفلح أبداً، كما أن حسن الظن بالله، لا بد أن يؤدي إلى الثقة به سبحانه وتعالى وتوكيله في كل أمورك.

يقول علي بن طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «والله لو قال لي الله يوم القيامة إني سأترك حسابك لأبيك وأمك لما رضيت ولأصررت أن يحاسبني الله تعالى فقيل له: ولماذا يا أمير المؤمنين فقال: «لأن الله عز وجل أرحم بي من أبي وأمي».

وأيضاً في قصة موسى عليه السلام- نرى أروع صورة لحسن الظن بالله تعالى، وأنه لن يخذله أو يتخلى عنه في أشد المواقف صعوبة، وذلك حينما وصل إلى شاطئ البحر، وفرعون وجنوده يطاردونهم من الخلف، وهنا أسقط في أيدي الكثيرين من حوله، وتسرب اليأس إلى قلوبهم وصرخوا في خوف «إنا لمدركون» لكن هذا النبي العظيم الواثق بربه، يرد عليهم في ثبات وطمأنينة: {كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ} [سورة الشعراء: ٦٢] وكان المدد الإلهي رداً سريعاً، واستجابة فورية لهذا اليقين وحسن الظن به فأمره الله أن يضرب البحر بعصاه، ويقال أن جبريل - عليه السلام - شق البحر بجناحيه بعد ضرب عصا موسى، وخاض موسى وقومه وسط البحر، على أرض يابسة، والأمواج تتلاطم على جانبي الطريق، وبعد أن وصلوا إلى اليابسة عاد البحر إلى وضعه الطبيعي، مغرقاً فرعون وقومه.

- وكثيرة هي القصص في هذا الجانب، وتؤكد كلها أن الله تعالى، لا يخذل أبداً من أحسن الظن به، وتوكل عليه، ومنها أيضاً قصة هاجر زوجة إبراهيم عليه السلام - حينما ذهب بها زوجها إلى مكة، وكانت صحراء

مقفرة، لا يوجد بها أحد، وتركها مع ولدها الرضيع هناك، ثم قفل عائداً وعندما كانت تسأله «إلى من تتركنا يا إبراهيم؟» كان لا يرد عليها ثم سألته «أألله أمرك بهذا ؟ فقال لها حينئذٍ نعم، الله أمرني بهذا، فهنا أطمئنت المرأة المؤمنة، الواثقة بالله تعالى وقالت «إذا لن يضيعنا» وفعلاً فجر الله لها عين ماء هي «زمزم» وأرسل لها ولولدها قبائل جرهم العربية، سكنت إلى جوارهم، ثم كانت مكة، أفضل وأحب البلاد إلى الله ولرسوله وسائر المسلمين.

وأيضاً من القصص الجميلة في حسن الظن بالله وتوكيله، ان لقمان الحكيم خرج يوماً مع أحد أبنائه، متوجهين إلى قرية بعيدة، لم يكونا يعرفا الطريق الصحيح إليها، فكان ابنه دائم السخط والجزع كما يفعل الكثير منا عند الشدائد والابتلاءات وذلك لأنهما ضلاّ إبلهما في الطريق لكن لقمان كان هادئاً، وكان يطمئن ابنه أن الله تعالى سيرشدهما إلى الطريق الصحيح، ولن يتخلى عنهما في هذه الصحراء، والولد يزداد جزعاً وسخطاً، وبعد فترة من الزمن، لاحت لهما القرية التي يريدانها، ولكن الولد صرخ فجأة من الألم، ولم يعد يستطيع المشي، وتبين لهما أن شوكة كبيرة دخلت في رجله، فاضطر للتوقف عدة أيام حتى تعافت رجل الولد ثم تابعا سيرهما حتى اقتربا من القرية المنشودة، وهنا هبت عاصفة رملية ففقدا وعيهما، وعندما استفاقا، وجدا أن القرية قد اختفت فعاد الولد للشكوى والتبرم ورفض مواصلة الطريق، وهنا ظهر ملك قال لهما: «إن الله أرسله لكي يعيق وصولها إلى القرية وهو السبب في كل الأحداث التي جرت لهما وذلك لأن الله كان قدر إهلاك هذه القرية فأرسل الملك لكي يمنعهما من دخولهما حتى لا يهلكا مع الهالكين».

وأسألك أخي المبتلى:

- هل ظنك بالله كظن سيدنا محمد ﷺ في الغار «لا تحزن إن الله معنا».
- وظن سيدنا موسى عند ساحل البحر {كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّ سَيَهْدِينِ}
- وظن إبراهيم عند قذفه في النار «حسبي الله ونعم الوكيل».
- وظن زوجته هاجر «إذا لن يضيعنا الله».
- هل ظنك بالله تعالى كظن سيدنا علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ؟!
- هل أنت موقن في نفسك أن الله تعالى وحده، هو أرحم بك من والديك، ومن نفسك التي بين جنبيك.؟!
- إذا وصلت إلى درجة اليقين العالية هذه، فأبشر وترقب الفرج ، لأن الله لن يخيب ظنك ولن يخذلك.

توكيل الله

ويقول تعالى: {وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كله فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ} [هود: ١٢٣].

ويقول: {ورَبُّ الْمُشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا} [سورة المزمل: ٩].

وأيضاً: {وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (٢١٧) الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقوم (٢١٨) وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ} [سورة الشعراء: ٢١٧-٢١٩].

ومعنى الوكيل: الذي يتولى بإحسانه شئون عباده فلا يضيعهم ولا يتركهم، ولا يكلهم إلى غيره.

ومن شروط الإنسان المتوكل:

١- الاستشعار واللجوء إلى الله الوكيل في الظروف الصعبة.

مثال على ذلك سيدنا إبراهيم عليه السلام- والذي كان فتى يافع عمره في حدود السادسة عشرة وبعد أن خالف دين قومه الوثنيين إلى عبادة الله وحده، ثم قام بتكسير الأصنام، مما أثار غضب قومه عليه، وتنادوا جميعاً للانتقام منه بإحراقه في النار، كل الناس كانوا ضده، حتى والده وعمه، وتم بناء المحرقة بين جبلين عظيمين وشارك الجميع في البناء لدرجة أن المرأة كانت تنذر إن شفاها الله، إن كانت مريضة أو إن رزقها الله بالولد - إن كانت عقيم - كانت تنذر أن تشارك في بناء هذه المحرقة، واستمر البناء لعدة أشهر، ثم بعد انتهائه أوقدوا فيها نيران عظيمة لدرجة أن الطير في السماء إذا مر من فوقها يحترق، ثم جهزوا المنجنيق لقذف إبراهيم بواسطته إلى النار كل ذلك وسيدنا إبراهيم - الفتى- ينظر إليهم.

وبكل الحقد والكراهية والغضب الذي كان يغلي في صدور الناس ضد هذا النبي العظيم، وُضع إبراهيم في المنجنيق وهو مقيد اليدين

والرجلين وهو يردد في سره «حسبي الله ونعم الوكيل» وعند ذلك نزل سيدنا جبريل عليه السلام - وقال له: «يا إبراهيم ألك حاجة؟ فرد عليه إبراهيم في ثقة المتوكل على ربه: «أما لك فلا وأما إلى ربي فعلمه بحالي يغنيني عن سؤالي ثم استمر في ترديد «توكلت على الله - وحسبي الله ونعم الوكيل».

وأطلق قوم إبراهيم المنجنيق وهو فيه، فكيف كانت رعاية الله الوكيل لعبده المتوكل عليه «إبراهيم».

اسمع أخي المبتلى إلى بقية القصة، لتطمئن أنك إذا وكلت الله تعالى بصدق في كل أمورك فإنه لن يضيعك أو يتخلى عنك».

فعلاً سقط إبراهيم - عليه السلام - في النار، وعندئذ أمر الله تعالى النار {يا نارُ كُونِي بَرَدَا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ} [سورة الأنبياء: ٦٩] أمرها الله سبحانه تعالى أن تغير خواصها، وذلك إكراماً لعبده الذي توكل عليه وبعد مدة سنوات، وحينما سُئل إبراهيم عليه السلام- عن أفضل أيام حياته، قال: «إنها التي قضاها في النار».

٢- يختبر الله عبده المتوكل وذلك بتقطيع أسباب الدنيا عنه:

وذلك ليرى هل يستمر في توكله عليه، وثقته فيه سبحانه وتعالى أم أنه سيضعف ويصاب باليأس والإحباط إذا انقطعت الأسباب الدنيوية بين يديه، وهنا يبرز الفرق بين المتوكل على الله حقاً وثقته في الله تزداد وتترسخ إذا انقطعت أسباب الدنيا عنه.. أما غير المتوكل فإن أمله يضعف وقوته تخور وتتلاشى بإنقطاع أسباب الدنيا عنه.

مثال لذلك: كان من أكثر الناس الذين وقفوا إلى جانب سيدنا محمد ﷺ هما عمه أبو طالب، وزوجته خديجة بنت خويلد، وفي أشد حالات الكرب ﷺ، وتعاظم المحنة لهﷺ يقدر الله سبحانه وتعالى، تقطيع هذه الأسباب الدنيوية عنه عليه الصلاة والسلام- وذلك بوفاتهما معاً في عام واحد «سماه كثير من العلماء عام الحزن» فهل أثر ذلك في إرادة

سيد المتوكلين أو فت في عضده هذا المصاب الجلل وقد فقد أهم من يسانده خارج البيت ويدافع عنه ضد أذية قومه وهو «عمه أبو طالب»، ثم فقد من كانت تواسيه وتؤازره داخل البيت وهي زوجته خديجة كلا لم يؤثر ذلك في إرادته وهمتهﷺ، بل واصل دعوته إلى الله، كما أمره الله، وهو متوكل على الله .

٣- عدم أكل الحرام:

لأن من يأكل الحرام لا يصدق أن الله تعالى قد توكل برزقه، ولو تأمل المتأمل في غذاء الإنسان، لوجد أن الله الوكيل يسوقه له منذ مولده وإلى ما بعد وفاته فعدما كان جنين في بطن أمه كان غذائه يأتيه عن طريق دم أمه بواسطة الحبل السري، ثم بعد الله ولادته ساق الله غذائه في صدر أمه لبناً دافئاً في الشتاء وبارد في الصيف، وبعد أن كبر وشب رزقه الله طعامين هما اللحوم والنباتات «فواكه وحبوب وخضار» وشرابين هما الماء واللبن، وبعد وفاته إن كان مؤمناً جعل الله له ثمانية أبواب في الجنة يدخل من أيها يشاء.

فلماذا الحرام إذاً ؟؟

٤- عدم المبالغة في الخوف من المستقبل:

لأن الله الوكيل الذي حماك جنيناً في بطن أمك، قادر سبحانه وتعالى على حمايتك بقية حياتك.

ذكر العلماء أن هناك غشاء رقيق يحيط بالجنين في بطن أمه، له فتحات صغيرة تعمل على «فلترة» المواد التي تصل إلى الجنين فتُدخل الغذاء والمواد التي يحتاجها الجنين، وتمنع دخول المواد المضارة إليه كما تأخذ فضلاته وتضعها في دم الأم، ويسمى هذا الغشاء «بالعاقلة».

٥- ومن صفات المتوكل تتحرك الجوارح في الأخذ بالأسباب المتوفرة لكن القلب يتعلق بالله تعالى وحده، وهذا الفرق بين المتوكل

والمتواكل، وهذا الأخير يترك الأخذ بالأسباب وهذا قدح في سنن الله في الكون والمبنية على الأخذ بما يتوفر من أسباب الدنيا.

- أفضل مظاهر التوكل على الله هي «صلاة الاستخارة»، وذلك لأنك تعيد الأمر الذي أهمك إلى الله تعالى، وتسأله العون والهداية فيه، ثم تتحرك بالأسباب، وتترك التوفيق له سبحانه وتعالى.

ورد في الأثر أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام «يا دارد من دعاني أجبته»، ومن استغاثني أغثته ومن استنصرني نصرته، ومن توكل علي كفيته، فإني كافي المتوكلين وناصر المستنصرين، وغياث المستغيثين ومجيب الداعين».

توكل على الرحمن في الأمر كله فما خاب حقاً من عليه توكلا

وكن واثـــقاً بالله واصبر لحكمه تفز بالذي ترجوه منه تفضلا

يقول تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} [سورة آل عمران: ١٥٩]

ولو لم تكن هناك ميزة في توكيل الله والتوكل عليه إلا الحصول على محبته سبحانه وتعالى، لكانت كافية أن نحرص على توكيله لكل أمورنا، فما بالك أن يجمع لك محبته، وفرجه، ثم جنات الخلد والنعيم في الآخرة.

ثم أخيراً البحث في الأسباب الدنيوية:

١- فإن كنت مريضاً فابحث عن الدواء لحديث رسول اللهﷺ: «مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ دَاءً، إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ دَوَاءً، عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ، وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ»[1]

(١)مسند احمد ٣٨/٧.

٢- وإن كنت فقيراً فاطلب عملاً تسترزق منه واسأل الله من فضله وارفع من مستواك المهني وخذ دورات تأهيلية وجدد مهاراتك وثقف نفسك باستمرار وتذكر {وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ} [سورة الذاريات: ٢٢] واجعل توكلك المطلق على الله تعالى قبلها وبعدها «لَوْ تَوَكَّلْتم على الله حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بطانا»[١]

٣- ولو كنت مظلوماً فاسعَ بكل ما يتهيأ لك من أسباب دنيوية في رفع الظلم عنك ودفعه عن كاهلك واستعن بالله ولا تعجز ولتعلم أن المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف.

٤- ولو أخرجت من وطنك.. أو حوربت من أعدائك.. أو شُوهت سمعتك .. أو .. أو .. تذكر كلمات رسولنا الكريم: «يَا غُلَامُ، احفَظ اللَّه يَحْفَظْكَ، احْفَظ اللَّه تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، وَلَا تَسْأَلْ غَيْرَ اللَّهُ تَعَالَى، وَلَا تَحْلِفْ إِلَّا بِاللَّه تَعَالَى، جَفَّتِ الْأَقْلَامُ، وُطْوِيَتِ الصُّحُفُ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَهْلَ السَّمَاءِ وَأَهْلَ الْأَرْضِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِغَيْرِ مَا كَتَبَ اللَّه لَكَ، مَا اسْتَطَاعُوا ذَلِكَ»[٢]

وقوله: «تَعْلَمُ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَاكَ لم يكن ليصيبك» [المرجع السابق]

وقوله: {احْرِضْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّه وَلَا تَعْجَزْ»[٣]

---

(١)تفسير القرطبي ١٠٧/٨

(٢)القدر للفريابي محققاً ١١٧/١.

(٣)معارج القبول بشرح سلم الوصول ٩١٩/٣.

٥ - الأسباب المؤدية إلى الفرج:

هي تقويض كرب المكروبين والتنفيس عن المهمومين، والتيسير للمعسرين.

ورد في عدة أحاديث: «من فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة»[١]

«وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَنْ ستر مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ عَوْنِ أَخِيهِ»[٢]

٦ - ومن الأسباب المؤدية أيضاً للفرج:

مع الأخذ بالأسباب الدنيوية التوكل المطلق على الله تعالى ، لأنه وحده بيده الأسباب، ومقاليد أمورك كلها، والله تعالى يقول: {وَمَن يتوكل عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلّ شَيْءٍ قدرًا} [سورة الطلاق: ٣].

والله سبحانه وتعالى من أسمائه «الوكيل» أي هو المتوكل في تصريف شئون عباده، ومن وكل الله في أموره بصدق وإخلاص سخر الله له ملائكة سمائه وعبيد أرضه، حتى أعداءه يخدمونه مُكرهين.

وهذا الأساس العظيم من أسس الفرج هو أعظم ثمرات الإيمان

{فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} [سورة آل عمران: ١٥٩].

---

(١)سلسلة التفسير المصطفى العدوي ١٥/٥٥.

(٢)أخرجه مسلم في الذكر حديث ٣٨

لأنه تفويض الله في أمرك وثقة بوعده، ورضا بصنيعه، وحسن ظن به، ومن محاسن التوكل على الله أنك تقطف ثماره في الدنيا والآخرة.

- ففي الدنيا يحصل لك أخي المبتلى فرج واسع بأعظم مما كنت تحلم به وتتوقعه.
- أما في الآخرة فجزاؤك عند الله عظيم لأنك وكلته في أمورك واعتمدت عليه في تصريف شئونك، وتفريج كربك يقول تعالى {وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبُوئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ} [سورة العنكبوت: ٥٨].

ترى من هم هؤلاء العاملون الذين سيجازيهم الله بالغرف التي تجري من تحتها الأنهار؟

الجواب اسمعه أخي المبتلى في بقية الآية يقول تعالى عنهم {الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} [سورة النحل: ٤٢] .

ما أعظمه من أجر، وما أكرمه من عطاء، لمن صبر في دنيا هذه، ثم توكل على ربه في كل أموره فقد ضمن لفرج من جهة وغرف الجنات خالداً فيها من جهة أخرى !!

المبتلى مع الناس

اخي المبتلي:

لا تحزن من مواقف الناس منك في شدتك ومحنتك، فهذا هو ديدنهم، وهذه هي اخلاقهم، وإذا صفى لك واحد أو اثنين من كل المحيطين بك، فاعتبر نفسك من المحظوظين يقول الشاعر:

المرء في زمان الإقبال كالـشجرة فالناس من حولها ما دامت الثمرة

حتى إذا أسقطت كل الذي حملت تفرقوا عنها وأرادوا غيرها شجرة

تبــاً لأبناء هــذا الــدهر كلهــم لم أجد واحداً يصفو من العشرة

- كان ابن مقلة وزيراً لبعض الخلفاء زور عنه يهودي كتاباً فيه بعض أسرار الدولة، وأوصله إلى الخليفة الذي عندما رآه غضب غضباً شديداً على ابن مقلة، وكان ذلك يوم عرفة وكان ابن مقلة ف قصره، وقد لبس الحلل الفاخرة، وكان القصر يعج بالحضور من كل أركان الدولة، وفي يوم العيد سجن الخليفة ابن مقلة بسبب الكتاب المزور، وأمر بمصادرة أمواله وقطع يده، وكان ذلك في بداية يوم العيد، فلم يأتي أحد إلى ابن مقلة ممن يعج بهم القصر بالأمس، ولم يسأل عنه أحد، وفي أثناء النهار اتضح للخليفة أن ابن مقلة بريء وأن ذلك من تدبير اليهودي فقتله شر قتلة، ثم أرسل إلى ابن مقلة أموالاً كثيرة، وخلعاً سنية، وندم على فعله، واعتذر إليه، فكتب ابن مقلة على داره يقول:

تحالف الناس والزمان فحيث كان الزمان كانوا

عاداني الدهر نصف يوم فانكشف الناس لي وبانوا

يا أيـها المعرضون عني عودوا فقد عاد لي الزمان

ويقال أحب الناس إلى الله من سأله، وأبغض الناس إلى الناس من احتاج إليهم وسألهم:

لا تسألن من ابن آدم حــاجة وسـل الـذي أبوابه لا تحجب

الله يغضب إن تركت سؤاله وبُني آدم حين يُسأل يغضب

أخي المبتلى:

هل تخلى عنك أقرب المحيطين بك، وهل جفاك الأهل والأحباب ؟! وأغلقوا في وجهك أبوابهم لا تحزن.. ولا تجعل ذلك يؤثر على نفسيتك.

فقد كان أشد الناس عداوة لحبيب الله تعالى ورسوله سيدنا محمدﷺ كان أشدهم عداوة له عمه أبو جهل، كما أن أهله أخرجوه من أحب البلاد إليه وهي مكة بعد أن تآمروا على قتله.

وشارك والد سيدنا إبراهيم وهو «خليل الرحمن» مع الناس في حاولة إحراقه.

وكان من المكذبين المستهزئين بسيدنا نوح عليه السلام ابنه وزوجته.

وكانت زوجة لوط - عليه السلام - هي من تدل قومه على إضيافه. وهكذا هم الأنبياء جعلهم الله لنا قدوة في كل ابتلاء، وهكذا هم كثير من الناس جعلهم الله سبب في كثير من البلاء يقول تعالى: {إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ۚ} [سورة التغابن: ١٤].

- وأوذي سيدنا موسى – عليه السلام- كثيراً من ألسنة قومه، وهو الذي جعل الله سببا في إخراجهم، من أشد أنواع العذاب الذي كانوا يلاقونه

على يد فرعون وقومه، ويسأل موسى ربه « يا رب كف ألسنة الناس عني» فأوحى الله إليه «يا موسى ما اتخذت ذلك لنفسي وهم يسبونني ويشتمونني وأنا أخلقهم وأرزقهم».

- كان يقول احد الحكماء : «والله .. والله .. مرتين، لكنس أرض الحجاز في يوم ريح بريشتين، وحمل بحرين زاخرين بمنخلين، وغسل عبدين أسودين حتى يصيرا أبيضين، أهون من الوقوف على باب لئيم يضيع فيه ماء العين».

لماذا تحزن إذاً أيها المبتلي من كلمة جارحة سمعتها، أو موقف مؤلم تعرضت له من الناس.

- قيل لحكيم: ما السقم الذي لا يبرأ، والجرح الذي لا يندمل؟

قال: حاجة الكريم إلى اللئيم ويرده.

- وقال لقمان: «يا بني أكلت الحنظل، وذقت الصبر، فلم أرى شيئاً أمر من الفقر، فإن افتقرت فلا تحدث به الناس كيلا ينتقصوك ولكن اسأل الله من ،فضله فمن ذا الذي سأل الله فلم يعطه، أو دعا فلم يجبه، أو تضرع إليه فلم يكشف ما به».

وكان العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: «الناس لصاحب المال إلزم من الشعاع للشمس، وهو عندهم أعذب من الماء، وأرفع من السماء، وأحلى من الشهد، وأزكى من الورد، خطؤه صواب وسيئاته حسنات، وقوله مقبول، يُرفع مجلسه، ولا يمل حديثه، والفقير عند الناس أكذب من لمعان السراب، وأثقل من الرصاص لا يُسلم عليه إن قدم، ولا يُسأل عنه إن غاب، إن حضر ازدروه، إن غاب شتموه، وإن غضب صفعوه، مصافحته تنقض الوضوء، وقراءته تقطع الصلاة»

فقر الفتى يذهب أنــواره مثل اصفرار الشمس عند المغيب

الله ما الإنسان في قومـه إذا بــلي بــالفقر إلا غريــب

أخي المبتلى:

قد تضطرك ظروفك إلى اللجوء إلى الناس، فخذ بالأسباب، وتعامل معهم ولكن كن على يقين أن الله وحده هو قاضي الحاجات ومفرج الكربات، فاحفظ لنفسك دينك وكرامتك.

يقول رسول اللهﷺ: «من تواضع لغنى لأجل غناه ذهب ثلثاً دينه»[1]

ورد في الأثر مكتوباً في التوراة: «يا ابن آدم لا تخافن من ذي سلطان ما دام سلطاني باقياً وسلطاني لا ينفذ أبداً، ابن آدم لا تخشى من ضيق الرزق ما دامت خزائني ملآنة وخزائني لا تنفذ أبداً، ابن آدم لا تأنس بغيري وأنا لك، فإن طلبتني وجدتني، وإن آنست بغيري فتك وفاتك الخير كله».

أخي المبتلى..

تحرر من اعتمادك المطلق على نفسك، مالك، جاهك، نفوذك، سلطانك، علمك.... الخ.

أو اعتمادك على الناس ووقوفهم إلى جانبك في محنتك، فأنت وهم لكم قدراً محدود وطاقة سرعان ما تنضب .. فمن اعتمد على ماله قل.. ومن اعتمد على علمه زل.. ومن اعتمد على عقله ضل ومن اعتمد على الناس ذل ..!!

ومن اعتمد على الله لا قل.. ولا زل.. ولا ضل.. ولا ذل ..!! ا

أخي المبتلى..

الناس أضعف من أن يضروك أو ينفعوك {قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ} [سورة الأعراف: ١٨٨].

---

(١)روح البيان ٥٣٩/٩

لذلك لا تعتمد كثيراً على مواقفهم منك في محنتك والأعم الأغلب من الناس هم أصحاب النعمة، رفقاء الرخاء.

ما الناس، إلا مع الدنيا وصاحبها فكلما انقلبت يوما به انقلبوا

يعظمون أخـا الدنيا فإن وثبــت يومـاً عليه بما لا يشتهي وثبوا

فإن ابتليت بمحنة، أو ضائقة، لن تجدهم إلا كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً، إلا ما رحم ربي وهم قلة.

لذلك لا تراهن على زيد وعبيد من الناس مهما كانت صلتك به وأعلم أن الصاحب الوفي الذي سيقف إلى جانبك ولن يتخلى عنك أبداً مهما طالت فترة بلائك هو «الله تعالى» فسأله الصحبة في رخائك قبل شدتك، ثم إذا نزلت الشدة فالزم به، وأكثر من الهتاف باسمه، ورضي بقضائه، تنال بذلك عظيم أجره.

ولكن... وحتى تكون وقفَتُنا مع الناس منصفة، فإن هناك بعض منهم، لا زال فيه قدراً عالياً من مكارم الأخلاق ومعاليها، ولذلك يكون وفياً لك إن سقطت، وكريماً معك إن احتجت، وباراً بك إن عجزت يتذكر لك كل عمل طيب، ويتناسى كل إساءة، يدعو لك في غيبتك، ويكرمك في حضورك فإن أنعم الله عليك بمثل هؤلاء في محنتك، فاحمد الله تعالى، واعلم أنه من نعمه سبحانه عليك، وأبذل كل جهدك في المحافظة عليه، وأشكر الله تعالى عليه.

فقد روي عن النعمان بن بشير رَضِيَٱللَّهُعَنْهُأنه قال: قال رسول اللهﷺ: «مَنْ لَمْ يَشْكُرِ الْقَلِيلَ لَمْ يَشْكُرِ الْكَثِيرَ، وَمَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّه والتحدث بِنِعْمَةِ الله شُكْرٌ، وَتَرْكُهُ كُفْرٌ، وَالجَمَاعَةُ رَحْمَةٌ وَالْفُرْقَةُ عَذَابٌ» [1]

(1)تفسير البغوي - إحياء التراث ٢٧٣/٥

وقال المغيرة بن شعبة: «أشكر من أنعم عليك، وأنعم على من شكرك، فإنه لا بقاء للنعم إذا كُفرت، ولا زوال لها إذ شُكرت»

وقيل: إذا قصرت يداك عن المكافاة، فليطل لسانك بالشكر.

وسُئل بعض الحكماء: «ما أضيع الأشياء؟ قال: مطر الجود في أرض مالحة سبخة، لا يجف ثراها ولا ينبت مرعاها، وسراج يوقد في الشمس، وجارية حسناء تزف إلى أعمى، وصنيعة تسدى إلى من لا يشكرها».

وقال حكيم: «لا تصطفوا ثلاثة، اللئيم: فإنه بمنزلة الأرض السبخة،والفاحش: فإنه يرى أن الذي صنعت إليه إنما هو مخافة لشره، والأحمق فإنه لا يعرف قدر ما أسديت إليه.

ولكن اصطنع كريم الخلق وازرع فيه المعروف تحصد الشكر».

وقيل : اشكر المنعم عليك وأنعم على الشاكر لك تستوجب من ربك الزيادة، ومن أخيك المناصحة.

وقال رسول اللهﷺ: «من أسدى إليكم معروفاً فكافئوه فإن لم تقدروا فادعوا له»[1]

ولذلك عندما وفد إلى المدينة وفد للنجاشي، قام رسول اللهﷺ «يخدمهم بنفسه، فقيل له: يا رسول الله لو تركتنا كفيناك، فقال «كانوا لأصحابي مكرمين»، والله سبحانه وتعالى يقول: {هَلْ جَزَاءُ الإحسانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ} [سورة الرحمن: ٦٠].

وعمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : «عليكم بأخوان الصدق فإنهم زينة في الرخاء وعدة في البلاء».

---

(١)أخرجه أحمد (٢/ ٦٨ ، ٩٩، ١٢٧) والبخاري في الأدب المفرد (٢١٦) وأبو داود (١٦٧٢، ٥١٠٩) وغيرهم. وصححه الألباني في الصحيحة (٣٥٤)

فإذا أخي المبتلي:

إذا أنعم الله عليك بصاحب وفي في شدتك، فقد عوضك خيراً، وأكرمك كثيراً، ومع ذلك يبقى الله تعالى هو أوفى الأصحاب، وأقرب الأحباب، وأصدق المعاملة معك سراً وجهراً.

معركة المبتلى مع الشيطان

أخي المبتلي:

شيء هام أريد أن أحذرك، منه وأنبهك فيه، قد يفوتك الالتفات إليه وأن في بلائك ألا وهو «كيد الشيطان ووسواسه».

وذلك أن الشيطان عدو ابن آدم الأبدي، مند خلق الله آدم وحتى قيام الساعة، وهو يبذل كل جهده في تخريب علاقتك بالله تعالى، وإبعاد الإنسان عن خالقه ومولاه، واقتناص الفرص أن بدت له في جعل الإنسان يرتكب ما يغضب الله قولاً أو فعلاً.

وسنستعرض لأساليبه التي يفقدها بها أجر الإنسان في حالة الابتلاء لأنه يعلم عظم جزاء المبتلى عند الله أول ما يحاول الشيطان الدخول به على الإنسان:

١ – هو أن يوسوس له أن هذا البلاء ما هو إلا شيء قاسي ودليل قسوة وكراهية وبالتالي يفقد الإنسان الرغبة والقدرة على الصبر بسبب سيطرة مشاعر الحزن والسخط والجزع من قضاء الله {إنما النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضارِهِمْ شَيْئًا} [سورة المجادلة: ١٠].

وفي قصة سيدنا أيوب أن الشيطان كان ينتهز فرصة وقوع البلاء عليه أولاً في ماله، فذهب إليه يوسوس له أن الله قد أخذ عليه كل ماله وما يمتلك، فما سمع من أيوب إلا الحمد لله والرضى بقضائه ثم لما أخذ الله أظولاده جميعاً في لحظة واحدة.. سارع الشيطان يوسوس لأيوب ويضخم له عظم المصيبة لعله ينتزع منه كلمة سخط أو جزع تحبط أجره عند الله، لكن سيدنا أيوب استمر في صلاته وحمد الله على قضائه، وأخيراً حينما ابتلى الله تعالى سيدنا أيوب في جسده أيضاً لم

يظفر الشيطان منه بكلمة جزع أو سخط واحدة، وظل حامداً لربه ،راضياً بحكمه، حتى أكرمه الله بالفرج، ويئس الشيطان من أيوب، وكذلك كل مؤمن قوي الإيمان سوف ييئس الشيطان منه لأن الله وصف كيد الشيطان بالضعف فقال: {إن كيد الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا}[سورة النساء: ٧٦].

٢ – المحاولة التالية للشيطان بعد فشل المحاولة الأولى عند وقوع المصيبة هي في استمرار المصيبة أو الابتلاء لفترة طويلة، وهنا يبذل جهده في جعل الإنسان يتململ ويحس بالضيق والضجر وربما كثرت شكواه، وزاد تبره، وهذه من الأشياء التي تغضب الله تعالى فقد ورد في أثر قدسي لمن يشكو من ابتلاءات الله «ابن آدم ما ابتليتك إلا لأطهرك فلا تشكوني».

وسمع أحد الصالحين رجلاً يشكو إلى آخر ابتلائه فقال له متعجباً {أتشكو من يرحم إلا من لا يرحم} أي تشكو الله الرحمن الرحيم والذي هو أرحم بالعبد المبتلى من والدته ونفسه إلى عبد آخر لا يرحمك بقدر رحمة الله لك يقول تعالى: {الشَّيْطَنُ يَعِدُكُمُ الفقر و يأمركم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةٌ مِنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيم} [سورة البقرة :٢٦٨].

٣- المحاولة الثالثة:

هي أن ييئس الإنسان والمبتلى خاصة من الفرج، ويقنطه من رحمة الله التي وسعت كل شيء، ويظل ينفث في صدره أن الأمر قد انتهى، وأن لا فائدة لا من الدعاء ولا من الأخذ بالأسباب الدنيوية، فيموت الإنسان في يومه ألف موته بسبب تسلل اليأس إلى نفسه، وهذا يتنافى مع طبيعة المؤمن الدائم التفاؤل في السراء والضراء، والذي

يبحث دائماً عن فرج الله، ويطرق كل الأبواب ثقة منه بقرب حصول الفرج من الله تعالى يصف الله اليائسين بقوله: {وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ} [سورة هود: ٩].

ثم يذكر أنه بعد اليأس تأتي النعمة والرخاء {وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي ۚ إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ} [سورة هود: ١٠] كلا الحالين مبغوض عند الله اليائس في الشدة، والبطر في الرخاء لكن الذين يعتصمون بالله تعالى لا سبيل للشيطان ولا لليأس إلى قلوبهم، فهذا سيدنا يعقوب بعد ضياع ابنه بأربعين عاما يقول لبنيه {يٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن روح ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ} [سورة يوسف: ٨٧].

إذا فالواثق بربه أقرب للظفر.

المحاولة الرابعة والأخيرة للشيطان:

هي بعد نزول الفرج وانكشاف الغمة حيث يلهيك أن تذكر الله أو تشكره على أن من عليك بنزول الفرج من عنده، وكشف عنك محنتك، ورفع الضر عنك، ويوسوس لك أنه بسبب فلان ولولا تدخل المسئول الفلاني، وعلى تأثير الدواء العلاجي، ووساطة القبيلة المعروفة، وسعي الشخص ذي المكانة البارزة و ... و ... و ...!!

المهم يبعد تفكيرك كلياً أن الله تعالى من قدر لك الخير وكتب لك الفرج، وسخر لك الأسباب حتى لا تشكره سبحانه فيحبط أجرك، ولا تنال فائدة من ابتلائك.

يقول تعالى: {وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [سورة يونس: ١٢].

وهذه هي صفات الإنسان الجاحد الذي فتح سماع أذنه، وأبواب قلبه لوسوسة الشيطان العدو الذي توعد ابن آدم قائلاً {ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شمائلهم وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ} [سورة الأعراف: ١٧].

فاحذر أخي المبتلى أن تترك حمد الله تعالى في شدتك ورخائك حتى لا تفقد أجرك ويحبط عملك.

ولكي ترتفع معنوياتك أخي المبتلى، وتزداد ثقة في موعود ربك أن العسر يعقبه يسر وان الفرج لا بد أن يأتي بعد الكرب.. سأورد لك بعض قصص المبتلين من هنا وهناك ممن منَّ الله عليهم بالفرج بعد الضيق والشدة والكرب، فقرأها بعينك، وأعقلها بعقلك وتأملها بقلبك.

المرض

أكثر الابتلاءات انتشاراً، وعلى مر التاريخ البشري، منذ أن خلق الله آدم عليه السلام - حتى يرث الله الأرض ومن عليها، وأول ما يظهر للعبد إذا أصيب بالمرض أنه قد أصيب بمصيبة - وهو كذلك بلا شك لكن مع كونه مصيبة فهو نعمة للمؤمن، ورحمة من الله تعالى، وفيه فوائد كثيرة ذكرها الدكتور إبراهيم بن محمد الحقيل في كتابه «سلوان المرضى» وسأورد هذه الفوائد بإيجاز.

١- أن فيها تكفير للخطايا ومحو السيئات:

لقوله ﷺ فيما رواه أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لا يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في جسده وما له ونفسه حتى يلقى الله وما عليه من خطيئة»[١]

وفي قوله في جسده ما يصيب العبد من أمراض أو جروح أو كسور أو حروق أو نحو ذلك.

وقوله: في نفسه يحتمل أن تكون الأمراض النفسية من هم وقلق وكرب.. ونحو ذلك.

وفي حديث آخر ما رواه معاوية قال: سمعت رسول اللهﷺ يقول:

«ما من شيء يصيب المؤمن في جسده يؤذيه إلا كفر عنه من سيئاته»[٢]

---

(١)أخرجه أحمد (٢ / ٤٥٠)، والترمذي (٢٣٩٩) وقال: حسن صحيح، والبغوي (١٤٣٦)، والبيهقي (٣/٣٧٤) الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (١/٣٤٦) ، ابن حبان (٢٩١٣) و (٢٩٢٤)

(٢)أخرجه أحمد (٤ / ٩٨)، والحاكم (٣٤٧/١).

ومعلوم أن التكفير للخطايا يحصل بالأمراض حتى لو كانت يسيرة مثل ألم الشوكة.

فقي حديث رواه أبو سعيد الخدري وأبو هريرة رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه»[1].

٢- أن في المرض رفع الدرجات وزيادة الحسنات:

في حديث عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول اللهﷺ يقول: «ما ضرب على مؤمن عرق قط إلا حط الله عنه خطيئة وكتب له حسنة ورفع له درجة» [2]

وبالتالي فإن أصحاب الذنوب والسيئات تكون الأمراض كفارة لهم، بينما الصالحون ومن ليس لهم ذنوب وسيئات وعلى رأسهم في الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فإن الأمراض عليهم تكون المضاعفة أجورهم.

٣- أن الأمراض سبب لبلوغ المنازل العالمية:

لحديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول اللهﷺ: «إن الرجل ليكون له عند الله المنزلة فما يبلغها بعمله فما يزال الله يبتليه بما يكره حيث يبلغها» [3]

---

(١)أخرجه البخاري (٥٦٤١-٥٦٤٢)، ومسلم (٢٥٧٣).

(٢)أخرجه الطبراني في الأوسط (٢٤٦٠) ، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي (١/٣٤٧) وحسنه الهيثمي في الزوائد (٣/٣٠٤) قال الحافظ عن الفتح: وسنده جيد (١٠/١٠٩)

(٣)أخرجه أبو يعلى (٦٠٩٥) والحاكم وصححه (١ / ٤٩٥) وابن حبان (٢٩٠٨) وعزاه الهيثمي في المجمع لأبي يعلى، وقال: ورجاله ثقات (٢/ ٢٩٢).

وفي حديث اخر لإبراهيم بن مهدي السلمي عن أبيه عن جده عن رسول اللهﷺ: قال: «إن العبد إذا سبقت له من الله منزلة لم يبلغها بعمله ابتلاه الله في جسده أو في ماله أو في ولده ثم صبره على ذلك حتى يبلغ المنزلة التي سبقت له من الله تعالى»[1]

والحديث الأول عام في كل ابتلاء، والحديث الثاني فصل ذلك، وذكر من جملة الابتلاءات: الابتلاء في الجسد، ونص على نعمة أخرى وهي أن الله يرزق هذا المبتلى الصبر حتى تتحقق له تلك المنزلة العالية.

٤- المرض دليل على أن الله أراد بعبده خيراً:

حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُقال: قال رسول اللهﷺ: «من يرد الله به خيراً يصب منه»[2]

حديث أنسرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول اللهﷺ: «إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا وإذا أراد بعبده الشر أمسك عن ذنبه حتي يوافي به يوم القيامة»[3]

قال الطيبي: «والمعنى: لا يجازيه بذنبه متى يجيء في الآخرة متوفر الذنب فيستوفي حقه من العقاب»

٥ – المريض يرزق الصبر:

حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «إن الله تعالى ينزل المعونة على قدر المؤنة وينزل الصبر على قدر البلاء»

---

(١)أخرجه أبو داود (٣٠٩٠)، وعزاء الحافظ ابن حجر للإمام أحمد وقال رجاله ثقات (٢٩٢/٢).

(٢) أخرجه البخاري (٥٦٤٥)، ومالك (٩٤١)، أحمد (٢/ ٢٣٧).

(٣)أخرجه الترمذي (٢٥٠)، والحاكم (٤/٦٠٨) وحسنه الألباني في المشكاة (١٥٦٥) والصحيحة (١٣٢٠).

وفي لفظ: «وينزل الصبر على قدر المصيبة»[1] ، فدل الحديث على أن المصاب يرزق الصبر على قدر مصيبته وهذا سر تحمله وقوته فالعبد المبتلى إذا رضى وسلم رزقه الله تعالى الصبر.

وجاء عن النبي ﷺ أنه قال: «ومن يتصبر يصبره الله»[2]

٦- أن المرض يؤدي إلى المحاسبة وعدمه يؤدي إلى الغرور:

وسبب ذلك والله أعلم

أ- أن المرض يحسس العبد بدنو الأجل والموت.

ب- أن الألم الذي يحسه المريض يجعله يهرع إلى الله عز وجل.

ج- أو لأن المرض يكسر الشهوات فيكون هم العبد حاله مرضه الشفاء منه.

- عن سعيد بن وهب قال: انطلقت مع سلمان إلى صديق له يعوده من عنده فقال: «إن المؤمن يصيبه الله بالبلاء ثم يعافيه فيكون كفارة لسيئاته ويستعتب فيما بقي، وإن الفاجر يصيبه الله تعالى بالبلاء ثم يعافيه، فيكون كالبعير عقله أهله لا يدري لما عقلوه، ثم أرسلوه فلا يدري لما أرسلوه»[3]

٧- أن المرض سبب لرجوع العبد إلى ربه:

فالابتلاء سبب في رجوع العباد إلى ربهم إذا أراد بهم خيراً وإذ يقول الله تعالى: {وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَتَضَرَّعُونَ} [سورة الأنعام: ٤٣].

---

(١) أخرجه البزاز (١٥٦) ، وذكره الألباني في صحيحه (١٦٦٤).

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٧٠) ، ومسلم (١٠٥٣) من حديث أبي سعيد الخدري.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٢ / ٤٤١) برقم (١٠٨١٣).

٧- أن المرض سبب لرجوع العبد إلى ربه:

فالابتلاء سبب في رجوع العباد إلى ربهم إذا أراد بهم خيراً وإذ يقول الله تعالى: {وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَتَضَرَّعُونَ} [سورة الأنعام: ٤٢].

قال ابن كثير رحمه الله تعالى (البأساء) يعني: الفقر والضيق في العيش.

والضراء: يعني الأمراض والأسقام والآلام.

لعلهم يتضرعون: أي يدعون الله ويتضرعون إليه ويخشعون.[١]

وقال وهب بن منبه: «ينزل البلاء ليستخرج به الدعاء»[٢]

٨- استمرار عمل المريض ما دام المرض يحبسه عنه:

حديث أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال قال رسول اللهﷺ: «إذا مرض العبد أو سافر كُتب له مثل ما كان يعمل مقيماً صحيحاً»[٣]

- وفي حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول اللهﷺ: «إن العبد إذا كان على طريقة حسنة من العبادة ثم مرض قبل للملك الموكل به: أكتب له مثل عمله إذا كان طليقاً حتى أطلقه أو أكفته إلى» [٤]

---

(١)تفسير القرآن الكريم العظيم (٣/ ١٨٠).

(٢) الشكر لابن أبي الدنيا.

(٣) أخرجه أحمد (٤١٠/٤)، والبخاري (٢٩٩٦) ، وابن أبي شيبة (٣/ ٤٤١)، ابن حيان (٢٩٢٩).

(٤) أخرجه أحمد (٢٠٣/٣)، والبغوي في شرح السنة (١٤٢٩)، والدارمي بنحوه (٣/ ٣١٦) الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (٣٤٨/١) وصححه المنذري في الترغيب والترهيب(١٥٠/٤)

وفي حديث عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يحدث عن النبي ﷺ قال: «اليس من عمل يوم إلا وهو يختم عليه، فإذا مرض المؤمن قالت الملائكة: يا ربنا عبدك فلان قد حبسته فيقول الرب: أختموا له مثل عمله حتى يبرأ أو يموت»[1]

٩- أن المرض سبب لدخول الجنة والنجاة من النار:

أما كون المرض سبباً للنجاة من النار، فقد ورد ذلك في ذكر الحمى، وأنها حظ المؤمن من النار، الحمى هي: ارتفاع الحرارة في مصطلح الطب الحديث، ومن تلك النصوص التي تدل على ذلك:

حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول اللهﷺ أنه عاد مريضاً ومعه أبو هريرة ومن وعك كان به فقال رسول اللهﷺ: «أبشر فإن الله عز وجل يقول: هي ناري أسلطها على عبدي المؤمن في الدنيا لتكون حظه من النار في الآخرة»[2]

١٠- أن الصحة لا تكون محمودة دائماً:

لأن المؤمن قريب من الابتلاء حتى يكفر الله عنه خطاياه، والذي لا يمرض أبداً لا يحصل له هذا الخير من تكفير الخطايا ورفع الدرجات، لذلك جاءت النصوص النبوية تفيد أن الذي لا يبتلى أبداً محل ذم، وأن من علامة محبة الله تعالى للعبد ابتلاءه كما في الحديث «وإن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم»[3]

---

(١)أخرجه أحمد (١٤٦/٤)، والحاكم وصححه (٣٠٨/٤) والبغوي في شرح السنة (١٤٢٨) عزاء الألباني لابن أبي الدنيا في المرض والكفارات وصححه كما في صحيح الجامع (٥٤٣٢).

(٢)أخرجه أحمد (٤ / ٤٤٠) ، لابن ماجه (٣٤٧٠)، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي (٣٤٥/١).

(٣)هذا قطعة من حديث أنس (إن عظم الجزاء..) أخرجه الترمذي وحسنه (٢٣٩٨).

أما كون الصحة ليست محمودة على الدوام فهناك نصوص تدل على ذلك ومنها: حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: دخل إعرابي على رسول اللهﷺ فقال له رسول اللهﷺ: «أَخَذَتْكَ أُمُّ مِلْدَم قَطَّ ؟ قَالَ: وَمَا أُم مِلْدَمِ؟ قَالَ: «حَرّ يَكُونُ بَيْنَ الْخُلْدِ وَاللَّحْمِ»، قَالَ: مَا وَجَدْتُ هَذَا قَطُّ، قَالَ: «فَهَلْ أَخَذَكَ الصُّدَاع قَطُّ» قَالَ: وَمَا الصُّدَاع؟ قَالَ: «عُرُوقٌ تَضْرِبُ عَلَى الإِنسَانِ فِي رَأْسِهِ»، قَالَ: مَا وَجَدْتُ هَذَا قَطْ قَالَ: فَلَها وَلِّى، قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَلْيَنظُرْ إِلَى هَذَا»[1]

ذكر ابن حبان في تفسير هذا الحديث: إن الله جل وعلا جعل العلل في الدنيا والغموم والأحزان سبب تكفير الخطايا عن المسلمين فأراد الرسولﷺ إعلام أمته أن المرء لا يكاد يتعرى عن مقاومة ما نهى الله عنه في أيامه ولياليه، وإيجاب النار له بذلك إن لم يتفضل عليه بالعفو، فكأن كل إنسان مرتهن بما كسبت يداه، والعلل تكفر بعضها عنه في هذه الدنيا لا أن من عوفي في هذه الدنيا يكون من أهل النار.[2]

وفي رواية يحيى بن سعيد أن رجلاً جاءه الموت في زمان رسول اللهﷺ فقال رجل: هنيئاً له مات ولم يبتلى بمرض، فقال رسول الله: «ويحك وما يدريك لو أن الله ابتلاه بمرض يكفر به من سيئاته»[3]

١١- أن الأمراض تصلح القلوب:

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: «انتفاع القلب والروح بالآلام والأمراض لا يحس به الا من فيه حياة، فصحة القلوب والأرواح موقوفة علي آلام البدن ومشاقها».

---

(١)أخرجه أحمد (٣٣٢/٣)، والبخاري في الأدب المفرد (٤٩٥) ، والبزار (٧٧٨) والبيهقي في الشعب (٩٩٠٧)، والحاكم وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي (٣٤٧/١)، وصححه ابن حبان (٢٩١٦)

(٢)الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان (١٧٩/٧)

(٣)أخرجه مالك (٩٤٢) قال ابن عبد البر: لا أعلم هذا الخبر بهذا اللفظ يتخذ عن النبي من وجه محفوظ أهـ (٥٧/٢٤) قال الألباني في تخريجه لمشكاة المصابيح (مرسل صحيح الإسناد) (٤٩٦/١).

١١- أن الأمراض تصلح القلوب:

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: «انتفاع القلب والروح بالآلام والأمراض لا يحس به الا من فيه حياة، فصحة القلوب والأرواح موقوفة علي آلام البدن ومشاقها».

ويقول أيضاً: «والله سبحانه إذا أراد بعبده خيراً سقاه دواه من الابتلاء والامتحان على قدر حاله يستفرغ به من الأدواء المهلكة، حتى إذا هذبه ونقاه وصفاه أهله لأشرف مراتب الدنيا وهي عبوديته وإلى أرفع ثواب الآخرة وهو رؤيته وقربه».

١٢- أن العبد إذا مرض أحس بنعمة الصحة:

«أي أن الأمراض تذكر العبد نعمة الصحة»، ولذلك قال النبيﷺ «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ»[1]

أن لعبد قد يرفل في الصحة زمناً طويلاً فيغفل عن التفكير في عظيم هذه النعمة، ويقصر في شكر المولى سبحانه وتعالى عليها، فلما يبتلى المرض يعرف قدر هذه النعمة العظيمة.

١٣ – أن الأمراض تنبه العبد إلى حال إخوانه المرضى:

إن العبد إذا مرض وعانى تلك المعاناة، وتفاقمت عليه المشكلات فإن هذا يدعوه إلى تذكر حال إخوانه المرضى، ممن هم أقل رزقاً منه، وأضعف حالا، وأكثر أولاداً، فيرثي لحالهم، ويدعوه ذلك إلي مساعدتهم، ومساعدة أولادهم بالنفقة ونحو ذلك.

---

(١)رواه البخاري (١١/ ٢٣٩) في الرقاق، باب ما جاء في الرقاق، وأن العيش عيش الآخرة.

١٤ – أن الأمراض تكسب العبد أصدقاء جدد:

وما أعظمها من نعمة حينما يتعرف العبد على عدد من إخوانه المرضى، فيلحون على الله تعالى بالدعاء له، وذكره بالخير، لما كانت يسديه لهم من معروف وإحسان، ومَنْ من المسلمين لا يريد أن يدعو له إخوانه فكيف إذا كان هؤلاء الداعون له ممن يظن أنهم قريبون من احد أخ الإجابة ؟!

إلى هنا وتنتهي النقاط التي سردها الدكتور إبراهيم الحقيل في كتابه «سلوان المرضى» أوردتها باختصار ولمن أراد المزيد يمكنه الرجوع إلى الكتيب نفسه والصادر عن «دار ابن خزيمة».

قصة أيوب عليه السلام: «حامل لواء المبتلين يوم القيامة».

هذا النبي الصابر الكريم الذي ابتلاه الله أولاً في ماله، ففقد في لحظة واحدة كل ما كان يملك وكان شديد الثراء، كثير المال، قد أتاه الله من كل نعم الدنيا أخذها منه في غمضة عين، فصبر واحتسب وحمد الله على ما أعطى وأخذ، ثم بعد فترة قليلة أشتد البلاء عليه، حيث ابتلاه الله في كل أولاده، فبينما كانوا مجتمعين جميعهم في منزل يظن أنهم قريبون أحد أخوانهم سقط عليهم سقف البيت وماتوا كلهم ويقال أنهم كانوا اثنا عشر زوجاً ذكور وإناث، أي أن عددهم أربعة وعشرون فقد أهلكوا في ساعة واحدة، وبلغ الخبر والدهم النبي الصابر والذي لم تمضي سوى فترة بسيطة على فقدانه كل ماله، بلغه الخبر وهو قائم يصلي في محرابه، فما قطع صلاته، ولا فقد رضاه عن ربه، لكنه حمد الله مرة أخرى على ما أخذ وما أعطى، ثم يبلغ الاختبار مداه لهذا النبي، حيث يمتحنه الله في جسده، ويصاب بمرض شديد يؤدي إلى تساقط لحمه، وإلى ابتعاد الناس وتخليهم

عنه، إلا زوجته هي وحدها التي بقيت معه، وبعد أن كان الغني القوي ذو الجاه والمكانة عند الناس، أصبح فقيراً ضعيفاً وحيداً مبتلاً في جسده.

هل تعلم أخي المبتلى بلاءً أشد وأعظم من هذا البلاء؟ وقد استمر في ابتلائه هذا سنوات كثيرة «قيل ثمانية عشر سنة، وقيل أربعين سنة وقيل غير ذلك»

المهم أن بلائه امتد حتى تساقط لحم جسده ولم يبق منه شئ عليه.

وتذكر بعض الروايات أن أشعة الشمس كانت تنفذ من خلال جسمه، وعندما تساقط لحمه لم يجد الدود شيئا يأكله فأخذ يأكل بعضه بعضاً ولم تبقى سوى اثنتان منها أحدهما أرادت أكل لسانه، والأخرى أرادت أكل قلبه، وهنا هتف بلسان الدعاء لرب السماء، ومقدر أقدار الابتلاء الله سبحانه وتعالى: {أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} [سورة الأنبياء: ٨٣].

فاستجاب له دعائه ومنَّ عليه بالشفاء بالاغتسال من عين ماء كانت قريبة منه، فأعاد الله له جسده كما كان قبل أن يبتلى وخيره الله تعالى في أولاده بأن يعيدهم للحياة ام يظلوا في الجنة ويرزقه الله مثلهم فاختار أن يبقوا في الجنة ويعوضه الله مثلهم، أما عن ماله فقد ورد في حديث رسول الله ﷺ لمَّا عافي الله أيُّوبَ، أَمْطَرَ عَلَيْهِ جَرَادًا مِنْ ذَهَبٍ، فَجَعَلَ يَأْخُذُ بِيَدِهِ وَيَجْعَلُهُ فِي ثوبه، قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: يَا أَيُّوبُ أَمَا تَشْبَعُ ؟ قَالَ يَا رَبِّ، وَمَنْ يَشْبَعُ من رَحْمَتِكَ؟» [1]

(١)تفسير ابن كثير ٣٦٢/٥.

أما يوم القيامة فإن سيدنا أيوب هو حامل لواء المبتلين إلي الجنة إذا صبر سنوات معدودة، كان عوضه جزاء خالداً في الدنيا والآخرة، لأنك تتعامل مع إله كريم شاكر قدمت قليلا من الصبر والرضى والتسليم بقضائه لا بد سيكافئك بكثير من الأجر والثواب والرضوان العظيم.

عن عطاء بن يسار عن رسول اللهﷺ قَالَ: «إِذَا مَرِضَ الْعَبْدُ بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِ مَلَكَيْنِ فَيَقُولُ: انْظُرَا مَا يَقُولُ لِعُوَّادِهِ، فَإِنْ هُوَ إِذْ جَاءُوهُ حَمِدَ اللَّهُ، وأَثْنَى عَلَيْهِ ، رَفَعَا ذَلِكَ إِلَى عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ أَعْلَمُ فَيَقُولُ: لِعَبْدِي على إن تَوَفَّيْتُهُ أَنْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ ، وَإِنْ أَنَا شَفَيْهُ أَنْ أُبَدِلَهُ لحما خَيْرًا لحمه، ودما خَيْرًا مِنْ دَمِهِ ، وَأَنْ أَكَفِرَ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ»[1].

وهنا أقف معك أخي المبتلى وقفة بسيطة، تتمثل أن الإجابة قد تتأخر فلا تيأس من الاستمرار في الدعاء، لأن الله حتماً سيستجيب لك، ولكن في الزمان، والكيفية التي يحددها هو سبحانه لأنه «لكل أجل كتاب»

ومن القصص في هذا الجانب قصة رواها أحد الأطباء في مقابلة تلفزيونية له، وهذا الطبيب مختص بالأورام الخبيثة، حيث يروي أنه تم استدعاؤه في أحد الأيام لرؤية مريضة كانت مصابة بورم خبيث في المخ، وحينما رآها وجد أنها في غيبوبة، وحالتها حرجة وخطرة جداً، وخطر له في نفسه بناءً على ما رآه أنها مشرفة على الموت، وأن لا فائدة من أي محاولة طبية لعلاجها ، ولكنه لم يجرؤ على مصارحة أهلها بذلك فأخبر الأطباء المشرفين على الحالة أن هناك دواء عبارة عن أقراص يتم بلعها وقد تحدث تحسناً فى حالتها وكان هو أكثر الموجودين يقيناً أن لا فائدة في أي محاولة لأنها تقريباً في غيبوبة الموت، ولكن أولئك الأطباء أخذوا الدواء الذي وصفه لهم، ثم قاموا بطحنه، وتم إدخاله لجسم المريضة عن طريق أنابيب تدخل من الفم إلى المعدة،

---

(1)شعب الإيمان ٣٢٩/١٢.

ويقول هذا الطبيب أنه بعد عدة سنوات كان في زيارة إلى لأحد أصدقائه الأطباء «اختصاصي نساء وولادة»، وجاءتهم الممرضة تنادي على اسم المريضة التي جاء دورها للدخول على الطبيب «صديقه» ، فوجد تشابه اسمها مع اسم الفتاة التي رآها في مستشفى الأورام، وعندما دخلت العيادة، ورآها، تأكد له أنها نفس الفتاة التي كانت سابقاً في غيبوبة الموت قد شفاها الله، وتزوجت، وهي الآن حامل، وتتابع حملها في عيادة النساء، ولما سأل عما حدث، عرف أن الله تعالى شفى تلك الفتاة بواسطة الأقراص التي وصفها للأطباء.

أخي المبتلى:

الطبيب سبب .. والدواء سبب.. والمشافي ومصحات العلاج سبب والدعاء سبب لكن المسبب والشافي المعافي هو الله تعالى فلا تيأس مهما اشتد بلائك، أو تأخر وضعك الصحي، أو أبلغك الأطباء أن لا فائدة، ولا أمل في شفائك.. يبقى الأمل دوماً موجود بوجود – الله تعالى ورحمته التي وسعت كل شيء.

ذكر الدكتور عائض القرني في كتابه «لا تحزن» أن رجلاً كان مشلولاً ولسنوات طويلة ظل عاجزاً عن الحركة طريح الفراش، وفجأة فتح الباب على أولاده وأسرته، وقد عادت إليه عافيته، وهو واقفاً على رجليه، والسبب في عافيته كانت عقرباً في السقف، نزل عليه وهو طريحاً في فراشه ولدغه في جسمه ، مما تسبب في عودة الحياة إلى أعصابه الميتة.

إنه الله تعالى وضع الحياة في لدغات العقرب الميتة «فسبحان الله الذي يقدر المقادير متى يشاء وبالكيفية التي يشاء».

ومن الأردن ذكرت إحدى المحطات الفضائية قصتين في نفس السباق:

- الأولى لفتاة في السابعة والعشرين من عمرها، تعرضت لحادث سيارة مما أدى إلى قطع الحبل الشوكي في ظهرها، وإصابتها بشلل الجزء السفلي من جسمها، وعجزت تماماً عن أي ممارسة طبيعية لحياتها، لكنها لم تفقد الأمل، وظلت تبحث عن أسباب الشفاء حتى وجدته في مجال الخلايا الجذعية حيث خضعت في مدينة الحسين الطبية لعملية زراعة خلايا جذعية في الحبل الشوكي، وبعد حوالى تسعة أشهر كانت تقف على قدميها لأول مرة منذ عدة سنوات، وهي الآن في طريق التماثل للشفاء.

أما القصة الثانية:

- فهي لرجل كان يعمل في المجال العسكري، وقد أصيب نتيجة سقوطه من إحدى الأطقم العسكرية، وكان في الثلاثينيات من عمره وتدريجياً فقد قدرته على الحركة حتى أصيب بشلل تام في أطرافه السفلى، ولم يجد العلاج في كل المستشفيات التي راجعها، وأخبره الأطباء أنه لا علاج لحالته، وظل على حاله هذا حتى جاوز السبعين عاماً، وهو أسير لكرسي متحرك، وقبل عام تقريباً، تاقت نفسه للذهاب إلى مكة لأداء مناسك الحج، وليدعو عند الكعبة لنفسه بالشفاء، لكنه لم يتمكن من الذهاب بسبب ظروف مختلفة، فحزن كثيراً، لكنه لم يفقد إيمانه وثقته بالله، وكان يخطط للذهاب هذا العام وفي إحدى الليالي، قام يصلي، ويدعو الله ان ييسر له الحج هذه السنة، ثم غلبته عينيه ونام ، و في نومه سمع هاتف يناديه أن الله قد شفاه فقام من نومه وأخذ يجرب تحريك رجليه فتحركتا، ثم وقف على قدميه، ثم مشى، وهو الآن يستعد للذهاب إلى الحج على رجليه «أمن يجب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء » إنه الله تعالى يجيب الدعاء، كاشف الضر والبلاء .

القصة الثالثة:

- فتاة أصيبت بمرض سرطان الكبد، وسافرت للعلاج في أمريكا، لكن الأطباء أخبروا أهلها أن حالتها متأخرة جداً، وأن مسألة وفاتها مسألة وقت وحسب، ولكن هذه الفتاة لم تيأس، ولم تفقد أملها وثقتها بالله تعالى، فلجأت الي الرقية الشرعية وكانت تضع يدها على منطقة الكبد، وتقرأ ما تيسر لها من الرقية، وعلى رأسها سورة الفاتحة «المانعة الشافية المنجية» كما وصفها رسول اللهﷺ وبعد فترة بدأت تتحسن في صحتها، فذهبت إلى نفس المستشفى لإجراء فحوصاتها وتفاجأ الأطباء أن مرض السرطان قد اختفى تماماً، وأن كبدها يعمل في أفضل حال حتى أنهم شكوا أنها هي نفس المريضة التي جاءتهم سابقاً.

العلاج بالصدقة

أما قصص العلاج بالصدقات فحدِّث ولا حرج، وهي قصص كثيرة، يتناقلها الناس:

- ففي إحدى هذه القصص أن رجلاً أصيب ابنه بحالة مفاجئة الضعف والهزال، وارتفعت درجة حرارته لأيام، وعندما ذهب به إلى المستشفى أخبره الأطباء أن ابنه مصاب «بسرطان الدم» وأن المرض متمكن في جسم ولده، فاسودت الدنيا في عيناه، فلجأ إلى أحد المساجد وأخذ يدعو الله ما بعد صلاة العصر، حيث خرج من المسجد، ورأى امرأة فقيرة تبحث في أكوام القمامة، فتقدم منها وسألها عما تبحث، فأجابته أنها امرأة أرملة ولديها عدة أطفال أيتام لم يذوقوا الطعام منذ عدة أيام وأنها تبحث لهم عما يسد رمقهم، فأشفق عليها، وأخذها وذهب بها إلى إحدى المحلات التجارية، واشترى لها ما يلزمها من طعام، ثم أخذها إلى الجزار وأخبره أن يعطيها لحما كل يوم على حسابه الشخصي، وكذلك فعل مع

الخباز، ومحل الخضار، ثم ودعها وعاد إلى بيته وعندما فتح الباب، ركض إليه ابنه يستقبله يضحك، وطوال المساء كان يجري ويلعب ويأكل ثم نام، والوالدان متفاجئان من تغيير وضعه الصحي، بعد أن كان شاحباً هزيلاً، ضعيفاً، لا يقوى على القيام من سريره، ويرفض تناول طعامه، وذهب والده إلى المستشفى لإجراء نفس الفحوصات السابقة وفوجئ الجميع بشفاء الولد تماماً، ولم يعد هناك أي أثر لنشاط سرطاني في جسمه..

يقول سيدنا محمد ﷺ «بادروا بالصدقة فإن البلاء لا يتخطاها»[١]

وقال أيضاً: « داووا مرضاكم بالصدقات»[٢]، وأيضاً: «الصدقة تسد سبعين باباً من السوء»[٣]، وفي روايات «أقلها البرص».

- وأخيراً لتعلم يا من ابتلاك الله في جسدك، أو كتب البلاء على ولدك، أو حبيب قريب لك أعلم أن الله تعالى يقول لملائكته {أنا قَيَدْتُ عَبْدِي بِقَيْدِ مِنْ قُيُودِي، فَإِنْ قَبَضْتُهُ، أَغْفِرْ لَهُ، وَإِنْ عَافَيْتُهُ فجَسَدٌ مَغْفُورٌ لَهُ، لَا ذَنْبَ لَهُ» [٤]

وورد في حديث صحيح «ان الله تعالى يقول العبده وهو يحاسبه يا ابن آدم استطعمتك ولم تطعمني، فيقول العبد: وكيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدي فلان ابن فلان جاع فما أطعمته، أما إنك لو أطعمته وجدت ذلك عندي يا ابن آدم ظمئت فلم تسقيني فقال: كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدي فلان ابن فلان ظمئ فما أسقيته، أما إنك

---

(١) المطلب الحميد في بيان مقاصد التوحيد ٢٥٠/١.
(٢)التمهيد لشرح كتاب التوحيد ٥٩٩/١،
(٣)رواه الطبراني، جامع الأحاديث للسيوطي ٦٨٦/٢.
(٤)الدر المنشور في التفسير بالمأثور ٧٠٢/٢.

لو سقيته وجدت ذلك عندي. يا ابن آدم، مرضت فلم تعدني. قال: كيف أعودك وانت رب العالمين؟! :قال أما علمت أن عبدي فلان ابن فلان مرض فما عدته، أما إنك لو عدته وجدتني عنده».

وهنا لفتة ذكرها الدكتور عائض القرني في كتابه «لا تحزن» ، قوله تعالى: وجدتني عنده ولم يقل كالسابقتين: وجدته عندي، لأن الله عند المنكسرة قلوبهم كالمريض.

وتذكر جيداً وأنت في بلائك أن الله تعالى يحبك وأن هذا البلاء دليل محبته لك، ونصيحة أقدمها لك أن تحاول بقدر ما تستطيع أن تصلي ولو ركعتين في جوف الليل، لأن لها تأثير عجيب في تخفيف الآم المرض، وتسريع الشفاء، وقد جربها كثيرون، ولمسوا عن قرب تأثيرها على تحسن وضعهم الصحي، إضافة إلى ما لها من أجر كبير كأحب العبادات إلى الله تعالى بعد الصلوات الخمس المكتوبة.

الظلم

قال تعالى: {أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ} [سورة هود : ١٨] وقال تعالى: {وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ} [سورة إبراهيم: ٤٢]

قيل هذه تسلية للمظلوم ورعيد للظالم.

وقال تعالى: {إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا} [سورة الكهف: ١٢٩]

- وورد في حديث الرسول ﷺ «رحم الله عبداً كان لأخيه قبله مظلمة في عرض أو مال أتاه فتحلله منها قبل أن يأتي يوم القيامة وليس معه دينار ولا درهم» (١)

- وقال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوم المظلوم على الظالم أشد من يوم الظالم على المظلوم.

- وقال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما كشف الله العذاب عن قوم يونس - عليه السلام ترادوا المظالم بينهم حتى كان الرجل ليقلع الحجر من أساسه فيرده إلى صاحبه.

- وقال أبو الدرداء: إياك ودمعة اليتيم، ودعوة المظلوم فإنها تسري بالليل والناس نيام.

- وسمع مسلم بن بشار رجلاً يدعو على من ظلمه فقال له: كِلِ الظالم إلى ظلمه فهو أسرع فيه من دعائك.

---

(١) الصحيح: رواه الترمذي في صفة القيامة (٢٤٣٠) وقال: حسن صحيح.

- وقال أحد الصالحين من «دعا لظالم بالبقاء، فقد أحب أن يعصي الله في أرضه».
- وقال مجاهد: «يسلط الله على أهل النار الجرب فيحكون أجسادهم حتى تبدو العظام فيقال لهم هل يؤذيكم هذا؟؟ فيقولون: أي والله، فيقال لهم: هذا بما كنتم تؤذون المؤمنين»
- ونادى رجل سليمان بن عبدالملك وهو على المنبر: يا سليمان أذكر يوم الآذان، فنزل سليمان من على المنبر ودعا بالرجل فقال له: ما يوم الآذان؟ فقال الرجل قال الله تعالى{فَأَذَنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ} [سورة الأعراف: ٤٤].

قال: فما ظلامتك؟ قال: أرض لي بمكان كذا وكذا أخذها وكيلك، فكتب إلى وكيله ارفع إليه أرضه، وأرضاً مع أرضه.

وقال بعضهم «أتقي سهام الأسحار فإنه لا بد أن يصيبك سهم منها».

وكتب بعض الولاة المعروف عنهم العدل على بابه:

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدراً فالظلم مصدره يفضي إلى الندم

نام عينك والمظلوم منتبه يدعو عليك وعين الله لم تنم

وقال الشاعر:

أتهزأ بالدعاء وتزدريه وما تدري بما صنع الدعاء

سهام الليل نافذه ولكن لها امد وللأمد انقضاء

فيمسكها إذا ما شاء ربي ويرسلها إذا نفذ القضاء

ومن قصص العدل الإلهي:

- أنه كان في الزمن القديم وزير ظلوم غشوم، وفي أحد الأيام استولى أعوانه على أرض تمتلكها امرأة مسكينة، فجاءت المرأة إلى قصره تشكو إليه ظلم أعوانه، لكنه رفض الاستماع إليها وأمر بطردها من القصر ، فقالت له المرأة باكية والله لأرفعن مظلتي إلى الله تعالى وأشكو ظلمك وأعوانك إليه» ،فقال لها الوزير مستهزئاً عليك بالثلث الأخير من الليل ثم ضحك بسخرية وغرور، ولم يمضي العام إلا والملك قد غضب على الوزير و صادر كل ممتلكاته، وأمر به يوضع على حمار بالمقلوب، وأن يُطاف به أسواق المدينة، وحينما كان يطوف في شوارع المدينة، رأى المرأة المظلومة، وعرفها ولم تعرفه بسبب حالته الرثة التي كان عليها، وناداها: يا أمة الله ألم تعرفيني.. أنا فلان الوزير.. لقد وقّع الله على مظلمتك».

- وحُكي أن الحجاج حبس رجلاً في حبسه، فكتب إليه رقعة فيها:

«قد مضى من بؤسنا أيام، ومن نعيمك أيام والموعد القيامة والسجن جهنم والحاكم الله لا يحتاج إلى بيّنة».

إلى كل مظلوم فقد الناصر والمعين، فصار محبطاً يائساً لا يري فرجاً قريباً، وتسلل الظلام في نفسه،فأسودت الدنيا في عينيه،إلي من حورب في رزقه، أو شوهت سمعته أو داس عليه جبابرة الدنيا بأقدامهم دون أن يلتفتوا إلى إنسانيته وكرامته.

رويدك أخي لا تيأس ولا تحزن، وثق بالله تعالى، وأعلم أن كثيرون غيرك سبقوك في هذا البلاء وسيأتي بعدك من يمشي في ذات الطريق فألزم الصبر، وتدثر بحسن الظن بالله وترقب الفرج:

فبين غمضة عين وانتباهتها يغير الله من حال إلى حال

وأشهر المظلومين على مر التاريخ البشري، كان سيدنا يوسف عليه السلام هذا الكريم ابن الكرام النبي ابن الأنبياء، يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، لم يعرف التاريخ قصة إنسان، استولى الظلم على معظم فصولها مثل قصة حياته «أشد الناس بلاء الأنبياء».

فمنذ كان غلام صغيراً تعرض لظلم وحسد أخوته، اللذين رموه في بئر عميقة، وبعض العلماء يقول أنه لم يتجاوز في حينها عامه الخامس. ومن وقتها تبدأ قصة حياته الأليمة، حيث التقطه بعض التجار، وسافروا به إلى مصر، كأي نوع من أنواع البضاعة عندهم، وفي مصر باعوه إلى «عزيز مصر» وهناك في قصر العزيز، عاش النبي الكريم عبداً حتى أصبح فتى يافعاً، وشاباً جسيماً، وليدخل في فصول أخرى للظلم تمثلت في مراودة امرأة العزيز له عن نفسه، ودعوتها له لارتكاب الفاحشة معها، وحينما رفض زجت به في السجن، فلبث فيه بضع سنين ما بين سبع وثلاث عشر سنة.

أخي المبتلى:

أتوقف هنا معك لبعض الوقت، وأسألك «لو كنت مكانه ماذا كنت ستصنع؟ وكيف سيكون ظنك بالله؟ وأنت تخرج من كرب إلى كرب، ومن محنة إلى محنة، ومن شدة إلى شدة؟».

أكاد أجزم أن الكثير منا كان سيفقد صبره، ويتولى اليأس على قلبه، وتتوارد الشكوك في نفسه من هذا القضاء الذي سيراه قاسياً جداً وليس له ما يبرره.. طبعاً من الوجهة الإنسانية القاصرة، ولكن سيدنا يوسف هذا النبي الواثق بربه، المطمئن لحكمه، وهو في سجنه، وبعد كل هذه المحن التي مر بها، يدعو رفقاء السجن عنده إلى الإيمان بالله تعالى، وترك آلهتهم التي لا نفع منها ولا ضر «قمة العطاء ومنتهى الحب أن تدعو إلى الله وأنت فى أشد حالات الكرب والضيق»... ثم ماذا ؟؟ يأتي فرج الله تعالى في رؤيا رآها الملك، ويفسرها سيدنا يوسف، ثم يُطلق سراحه من سجنه ويتولى خزائن مصر، بعد ظهور الحقيقة، وتبرئته من تهمة الفاحشة التي دخل بسببها السجن، على لسان نفس المرأة التي رمته بها سابقاً وهي زوجة العزيز، وبعد وفاة الملك، تولى يوسف عرش مصر ليصبح هو ملك مصر، وألتم شمله مع والده وأخوته مرة أخرى، بعد

سنوات طويلة من المعاناة والألم، وانظر إلى تدبير الحكيم المدبر، فلولا حسد وظلم أخوته له صغيراً، لما اصبح ملك مصر كبيراً حيث دخل مصر عبد، ومات وهو عليها ملك «إذا كل ما يقضيه الله للعبد هو خير مطلق والمهم أن يصبر العبد، ويحسن الظن بالله تعالى».

أما قصص العدالة الإلهية فهي كثيرة جداً، وعلى مر العصور، لا بد أن ينتقم الله من الظالم ولو بعد حين.

ورد في الحديث أن دعوة المظلوم ترتفع فوق الغمام، وتفتح لها أبواب السماء، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما أَنْ النَّبِيِّ ﷺ بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى اليَمَنِ، فَقَالَ: «اتَّقِ دَعْوَةَ المظلومِ، فإِنهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهُ حِجَابٌ» [1]

ومعلوم أن عقوبة الظلم من العقوبات التي يعجل الله لصاحبها بالعقوبة بالدنيا، مع ما يدخره الله له من عذاب في الآخرة.

إذاً يا مظلوم اطمئن، لأن لك رباً من صفاته العدل، وهو سيأخذ لك بحقك ممن ظلمك، عاجلاً وآجلاً، ودعوة خاصة إلى من زج به في السجن ظلماً وعدواناً.

وإليك أخي المبتلى بعض القصص الخاصة بعدالة رب الأرض والسماء، والحكم والعدل، الله سبحانه وتعالى.

وهذه قصة امرأة من اليمن نُشرت في إحدى المحطات الفضائية، وملخصها:

-إنها كانت فتاة يتيمة وفقيرة وقد زوّجها أخوها من رجل أكبر ليتخلص من عبء مسئوليتها، وكان رجلا كبيرا في السن، وهي فتاة صغيرة.

---

(1) صحيح البخاري ١٣٩/٣.

وبعد عدة سنوات أنجبت منه ولد وبنت، ثم مات هذا الزوج فأتهمها إهله انها هي قتلته، وأبلغوا عنها الشرطة، وفعلاً دخلت السجن، ولم يكن معها أحد من الناس حتى أخاها تخلى عنها وفي المحكمة ونظراً لعدم وجود من يتولى أمرها، عينت المحكمة محامياً للدفاع عنها، ومن السخرية أن هذا المحامي كان أمياً لا يعرف القراءة والكتابة، وصدر حكم المحكمة عليها بالإعدام، ولكن تم تأجيله، وظلت في سجنها تسع سنوات وصدر عليها حكم الإعدام ثلاث مرات وفي كل مرة يتم عرقلة تنفيذه لسبب من الأسباب، لم يكن معها معين ولا ناصر سوى الله تعالى فكانت تلزم قيام الليل، وتكثر من الدعاء.. حتى أذن الله تعالى بالفرج من عنده، ففي مكان بعيد آخر أرادت منظمة حقوقية عالمية أن تستقصي أوضاع المرأة في - اليمن، واختارت جانب السجينات، وذهب نسوة من ممثلي هذه الجمعية إلى السجن الذي فيه هذه المرأة الوحيدة المظلومة، وتم اللقاء معها، وشرحت لهن طبيعة قصتها وبأمر الله وحده وتقديره وتدبيره، تحرك هذا الوفد النسائي، ونقل وضع هذه المرأة إلى رئيس الدولة والذي أمر بدوره بإطلاق سراحها، ودفع الدية لأهل زوجها، وليس هذا فحسب، بل تكفلت إحدى الأميرات السعوديات بإعالة هذه المرأة وأولادها، وتم استئجار سكن لهم في المدينة، وأدخل أولادها للمدارس، وهي تعيش الآن في أحسن حال.

-ورد في بعض الكتب أن أحد أعوان الملك في زمن بني إسرائيل قديماً، لقي اصطاداً فقيراً، اصطاد سمكة هي كل قوته هو وأولاده لذلك اليوم، فضربه على رأسه وأخذ منه السمكة فرفع هذا الصياد يديه وقال يا رب جعلته قوياً وجعلتني ضعيفاً، ولا صبر لي إلى الآخرة، فخذ لي بحقي منه عاجلاً، ثم ذلك الرجل الظالم أخذ السمكة إلى بيته وطلب من زوجته أن تشويها له، وعندما وضعتها أمامه وهم بأكلها عضته في أصبع يده فناله ألم شديد في أصبعه، فذهب إلى الطبيب الذي قطعها له، فانتقل الألم إلى كفه نقطعها، فانتقل الألم إلى ساعده فقطعه، فانتقل الألم إلى

مرفقه، فخرج هائياً على وجهه حتى غلبته عيناه ونام، فرأى في منامه من يقول له «حتى متى يا مسكين ستظل تقطع أعضائك عضواً بعد عضو، اذهب إلى الصياد الذي ظلمته واسترضه حتى يحلك من مظلمته وسوف تشفى»، وانتبه سريعاً، وذهب إلى الصياد وأعطاه ثمن السمكة، وزاده عليها حتى أرضاه وعفى عنه، وسكن ألم يده، فأوحى الله إلى نبي ذلك الزمان «وعزتي وجلالي لولا أن ذلك الرجل أرضى خصمه لعذبته مهما امتدت به حياته».

واسمع من يقول أن هناك مظلومين كثيرين يموتون دون أن يُنصفوا ممن ظلمهم، فأسمع أنت إلى هذه القصة:

حيث مر رجل على رجل آخر قد قتله الحجاج الثقفي ظلماً وعدواناً، وصلبه فقال: يا رب حلمك عن الظالمين قد أضر بالمظلومين، فنام في تلك الليلة فرأى في منامه أن القيامة قد قامت وكأنه قد دخل الجنة، فرأى ذلك المصلوب في أعلى عليين، وإذا منادي ينادي «حلمي على الظالمين أحل المظلومين في أعلى عليين».

ولتعلم أن عدل الله لا يفلت للظالم أبدا قبل أن يقتص منه في حياته الدنيا حتى لو مات المظلوم...

-ذكر أحد العلماء أن شخصاً حكم عليه بالإعدام في مقتل شخص آخر، ولما حان موعد تنفيذ الحكم، التقى مع محاميه الذي سأله أن يصدقه إن كان فعلاً هو قاتل هذا الرجل، فأقسم له أنه لم يقتله ولا يعرفه أصلاً، ولكنه اعترف له أنه قبل ثلاثين عاماً، حينها كان مأموراً لقسم شرطة في عهد الاحتلال الفرنسي لسوريا، جاءه الفرنسيون برجل ليسجنه وهو متهم بالقتل ومحكوم عليه بالإعدام، فهرب هذا القاتل من القسم، وما كان من المأمور إلا أن قبض على أحد رعاة الغنم، وقدمه للفرنسيين على أنه القاتل الهارب، وفعلاً تم إعدامه، وأدركته عدالة الله تعالى بعد ثلاثين عاماً فأعدم بنفس ذنب ذلك الراعي المسكين.

-وقصة أخرى تخص أحد الشباب المستهترين، فقد كان مع مجموعة من أصدقائه الشباب في سيارته حينما رأوا كلباً قد مد ذراعيه على الإسفلت، ليدفئها من برد الشتاء، فقال هذا الشاب المستهتر لرفقائه: انظروا إلي كيف سأسحق ذراعي هذا الكلب دون بقية جسمه ليدلل على مهارته في قيادة السيارة وفعلاً انطلق بسيارته، وداس ذراعي الكلب، وتركه يصيح على الأسفلت، وربما كان صيحاته دعاء على هذا الشاب، فبعد فترة وجيزة تعطلت إحدى عجلات سيارته، فنزل لإصلاحها، ومد رجليه على الطريق وهو يحاول إصلاح السيارة من الأسفل، وجاءت سيارة مسرعة لم يراه صاحبها، و دهست رجليه ففقدهما، فكانت عدالة الله تعالى حتى للحيوان.

-وفي بريطانيا حدثت هذه القصة، حيث كانت هناك امرأة بريطانية ذهبت إلى الملجأ، وأخذت منه طفلين تبنتهما لتربيتهما، أحدهما كان في الرابعة من عمره، وكان فيه بعض الشقاوة، فكانت تعذبهما وتضربهما خاصة الولد الشقي، حيث ناله منها كثير من الضرب وصنوف العذاب، وفي أحد المرات أحضرت مطرقة كبيرة وضربته بقسوة على بطنه، حتى مات المسكين من شدة عذابها وقسوتها عليه، وادعت أنه قد سقط من سلم البيت ومات، وتم دفنه، حيث صدقها الجميع، لكن إذا غابت عدالة الناس على الأرض، فإن عدالة الله في السماء والأرض لم تغيب، فبعد خمسة وعشرون عاماً على الحادثة، خطر لوالدة الطفل الحقيقية أن تذهب إلى الملجأ وتسأل عن ابنها الذي تخيلته أصبح شاباً غير أنها فوجئت بنبأ وفاته وعندما علمت بسبب الوفاة، طالبت بأوراق التحقيق، وحينما رأت صور ولدها صدمها منظره، وشكت في رواية سقوطه من سلم البيت، وطالبت بفتح التحقيق مرة أخرى ،وفعلاً فُتح التحقيق في مقتل الولد، واستخرجت جثته لتشريحها وسبحان الله العظيم ظلت الجثة كما هي لم تتحلل مما أدهش الذين رأوها، وكأنما أراد الله للحقيقة أن تظهر ويُنصف هذا الطفل المسكين وبعد تشريح الجثة اكتشفت الحقيقة، واعترفت المرة بجريمتها، وحكم عليها بالمؤبد.

مع المبتلين

إلى طائفة أخرى من المبتلين الذين فقدوا أحبة على قلوبهم، فأظلمت الدنيا عليهم... وإلى الذين هاجروا أو هُجِّروا من أوطانهم... ففقدوا الوطن.. والأهل.. والسكن.

وإلى الذين قلَّ المال وانعدم في أيديهم. فأصبحوا هامشاً في الحياة... ملايين ومليارات.. أعداد على أوراق.. لكنهم لا شيء في الحياة.

رويدكم.. توقفوا قليلاً.. أريحوا عيونكم من سحابات الدموع التي تسكنها .. خففوا عن أنفسكم وطأة الحزن والهم الذي استوطنها.

لم تكن الدنيا في يوم من الأيام بكل هذه القيمة والتي تكاد أنفسكم تزهق لأجل فواتها، هي فقط دار ممر، كثيرون غيركم عبروها، ثم ماذا ..؟! تركوها !!

إلى من مات عزيزا لديه خاصة ولده:

ورد في الحديث أن الله تعالى يقول لملائكته: «أقبضتم ولد عبدي؟! أقبضتم ثمرة فؤاده؟! فتقول الملائكة : أجل يا رب. فيقول الله تعالى: ماذا قال عبدي – والله أعلم بما قال فتقول الملائكة: حمدك يا رب واسترجع أي قال: الحمد الله، إنا لله وإنا إليه راجعون، فيقول الله تعالى: ابنوا لعبدي بيت في الجنة وسموه بيت الحمد» [1]

وعن أم سلمة رضى الله عنها أن رسول اللهﷺ قال: «مَنْ أَصَابَتْهُ من مُصِيبَةٌ فَقَالَ كَما أَمَرَهُ اللهُ: إِنَّا الله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. اللهم أجرني في مُصِيبَتِي، وَأَعْقِبْنِي خَيْراً مِنْهَا، إلا فَعَلَ اللَّهُ ذلِكَ بِهِ» [2]

---

(١) سنن الترمذي، باب فضل المحبة اذا احتسب ٣٣٢/٣.

(٢)موطأ مالك، جامع الحسبة في المصيبة ٢٣٦/١.

كلنا سنموت من منا كُتب له الخلود والبقاء، هذه سنة الحياة، إنما جئنا لهذه الدنيا لجمع أكبر قدر ممكن من الأعمال الصالحة، نقدمها يوم القيامة، وهناك دار الخلود، إما في جنات النعيم، أو في نيران الجحيم.

انظر إلى من كانوا قبلك أين السابقون، أين الجبابرة والملوك، أين الآباء والأجداد؟ .. إنهم هناك عند خالقهم الذي خلقهم أول مرة ثم أماتهم ثم يوم القيامة يحييهم من جديد.

وإلى الفقير المعدم:

لا تحزن يا أخي، واعلم أنك عند الله صاحب مكانة عظيمة إذا صبرت واحتسبت أجرك على الله، وتمسكت بدينك، واعلم أن فقراء الدنيا هم ملوك الجنة يوم القيامة، إذا آمنوا وأحسنوا مع الله عملهم.

لا تلتفت إلى نظرة الاحتقار والازدراء في نظرة الآخرين إليك بسبب فقرك، لأن نظرتهم هذه لا تعبر إلا عن أخلاقهم ونفوسهم الغير سوية، ولكن راجع في نفسك نظرة الله إليك، إنك كلما تمسكت بدينك وقويت علاقتك بربك، ارتفعت مكانتك عنده سبحانه، وهذه المكانة الحقيقية التي يجب أن تبحث عنها .

ورد في حديث أن رسول اللهﷺ قَالَ: «كَمْ مِنْ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ذِي طمرين لَا يُؤْبَهُ لَهُ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهُ لَأَبَرَّهُ» [1]

يعني هو رجل فقير مثلك، لا يملك من متاع الدنيا شيئاً، لكنه اجتهد في العمل الصالح حتى بلغ مكانة كبيرة عند الله لدرجة أنه سبحانه يبر بقسمه، لو أقسم عليه في موضوع أو شيئا ما.

---

(1) سنن الترمذي ٦٩٢/٥.

ورد في الأثر «إذا كان يوم القيامة يقول الله عز وجل لملائكته أدنوا إليّ أحبائي، فتقول الملائكة: ومن أحبائك يا إله العالمين؟ فيقول: فقراء المؤمنين أحبائي، فيدنون منه، فيقول: يا عبادي الصالحين إني ما زويت الدنيا عنكم لهوانكم عليّ، ولكن لكرامتكم، تمتعوا بالنظر إليّ وتمتعوا ما شئتم فيقولون وعزتك وجلالك لقد أحسنت إلينا بما زويت عنا منها، ولقد أحسنت بما صرفت عنا، فيأمر بهم، فيكرمون ويجبرون، ويزفون إلى أعلى مراتب الجنات».

قالﷺ: «هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضُعَفَائِكُمْ» (١)

وقال : «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ؟»، فَقَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعْفٍ ذِي طمْرَيْنِ لَا يُؤْبَهُ لَهُ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهُ لَأَبَرَّهُ» (٢)

وذكر في حديث للنبي ﷺ: «أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَأَنَّ مَا أَخْطَاكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ» (٣)

وجدت حكمة مكتوبة في زمن عمر بن الخطاب «إنما يتبين الفقير من الغني بعد الانصراف من بين يدي الله تعالى- أي بعد العرض والحساب يوم القيامة» (٤)

وفي القرآن الكريم يقول الله تعالى {وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ} [سورة الذاريات: ٢٢] ، ثم يقسم الله تعالى لزيادة التأكيد أن كل خلق من مخلوقاته كُتب له رزقه في السماء منذ أن وُلد {فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنه لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ} [سورة الذاريات: ٢٣].

---

(١) صحيح البخاري ٣٦/٤.

(٢) جامع معمر بن راشد ٣٠٦/١١.

(٣)اعتقاد أهل السنة شرح أصحاب الحديث ٧٨/١

(٤)المستطرف في كل فن مستظرف، شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبشيهي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية ، ١٩٨٦.

وحينما تنفخ الروح في الجنين في بطن أمه، تكتب له أربعاً «رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد» إذا الرزق بيد الله تعالى، بينما الناس والأعمال والأماكن، إنما هي أسباب يقدرها الله تعالى لحصول العبد على ما كتبه الله من رزق.

ذكر في التوراة «خلقتك لعبادتي فلا تلعب وضمنت لك رزقك فلا تتعب، وفي أكثر منه فلا تطمع، وفي أقل منه فلا تجزع، فإن أنت رضيت بما قسمته لك أرحت قلبك وبدنك، وكنت عندي محموداً، وإن لم ترض بما قسمته لك فوعزتي وجلالي لأسلطن عليك الدنيا تركض فيها ركض الوحوش في البر ولا ينالك منها إلا ما قسمته لك وكنت عندي مذموماً»[1]

وفي حديث قدسي: «ابْنَ آدَمَ! تَفَرَّغْ لِعِبَادَتي أَمْلَا قَلْبَكَ غِنًى وَأَمْلا يَدَيْكَ رزقاً، ابْنَ آدَمَ لا تَبَاعَدْ مِنِّى فَأَمْلاً قَلْبَكَ فَقْرًا وَأَمْلَا يَدَيْكَ شُغالاً»[2]

أخي المبتلى بالفقر:

ثق بالله تعالى، واعلم أن رزقك بيده وحده، لا يستطيع أحد في العالم أن يعطيك رزقاً لم يكتبه الله لك، أو يمنع عنك رزقاً كتبه الله لك، واحرص

على المال الحلال وإن قل فإن فيه البركة من الله،وإياك والمال الحرام فإن البركة تنزع عنه ولو كان مئات الملايين، أو جبال من الذهب.. واعلم أن المال الحرام إذا دخل على المال الحلال محق بركته.

---

(١)علل ابن أبي حاتم ١٨٧٥.

(٢)مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٥٢/٨.

-ذكر أحد العلماء أن رجلاً أراد الذهاب إلى الحج، وبينما هو على ظهر السفينة، أخرج كيس نقوده ليعد المال الذي معه، فجاءه قرد وخطف الكيس من عنده، ثم صعد على صاري السفينة، وأخرج الدراهم من الكيس وأخذ يقذف درهماً في الماء، ودرهم إلى ظهر السفينة حيث كان الرجل واقفاً يصيح ويندب حظه، فسمعه أحد الصالحين، وجاء إليه وسأله عن سبب بكائه، فأخبره بما حدث، فسأله الرجل الصالح عن عمله فقال له إنه بائع لبن، فسأله الصالح وهل كنت تخلط الماء باللبن؟ فأجابه نعم نصفه تقريباً، فقال له الرجل الصالح: إن المال الحرام الذي أدخلته من الماء قد عاد إلى الماء، ويبقى لك المال الحلال.

جمع الحرام عــلى الحــلال ليكثره دخل الحرام على الحلال فبعشره

وهناك قصة الحديقة المشهورة التي ذُكرت في (حديث لرسول اللهﷺ)

وفي هذا الحديث يُخبِرُ النَّبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم عن قِصَّةِ رجل يتقى الله في ماله، ويعرفُ الحقوق الَّتي عليه فيؤديها، وكيف أنَّ اللهَ يُجازي بالإحسان إحسانًا، فيُخبِرُ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أنه بينما رجُل بفلاة من الأرض.

(والفَلاةُ: البَرِيَّةُ والصحراء التي لا نَباتَ بها) فَسَمِعَ صوتا غيبيا في السَّحاب، لا يُرى مَن يَقولُهُ، وكأنَّهُ مَلَكٌ يَأْمُرُ السَّحابة، فيقول لها: «اسْقِ حديقة فلان»

- الحديقة: الأَرْضُ ذاتُ الشَّجَرِ أو النخل.

- فلان: كناية عن اسم صاحب الحديقة.

فاتجه ذلكَ السَّحابُ إلى المكان الذي سُمّي له صاحبه استجابةً لأمرِه، فأمْطَرَ ما فيه مِن ماءٍ في حرة، وهي أَرْضٌ فيها حجارة سوداءُ كأَنَّها أُخْرِقَتْ بالنَّارِ، «فَإِذا شَرْجَةٌ من تلك الشراج»، أي: فتحة من فتحات مسايل الماء، «قَدِ اسْتَوعَبَتْ ذَلِكَ الماءَ كُلَّهُ»، أي: امتلأت بذلك الماء

«فَتَتَبَّعَ الرَّجُلُ» سَيلانَ الماءِ مِن تلك الفتحة والمسيل إلى أين يذهب، فإذا به يَجِدُ رَجُلًا قائماً واقفاً في حديقته يتلقى الماءَ الَّذي يَأْتِيهِ مِن ذلك المسيل، ويُحوله بالمجرفة من الحديد أو بفَأْسه إلى أَرضِهِ لِيَسْقيها، ويَنقُلُ الماءَ مِن مكان إلى آخر في الحديقة، فسأله الرَّجُلُ الَّذِي سَمِعَ الصوت في السحابة وتتبع الماء حتى وصل إلى الحديقة، وقال له: «يا عبد الله، ما اسمك؟» فقال صاحِبُ الحديقة: اسمي «فلان»، وهو الاسم الَّذي سَمعه في السَّحَابةِ، ثم قال له صاحب الحديقة: «يا عبد الله، لم تسألني عن اسْمِي؟» فَأَخْبَرَهُ قِصَّةَ الصَّوتِ الَّذِي سمعه في السحاب، وأنه تتبع تلك السحابة ومسيل الماء حتى أتى حديقته، وسأل صاحب الحديقة: ماذا تصنع في محصولها وثمرها مِن الخير؟ أو ماذا تفعل أعمال صالحة كانت من السبب فيما سَمِعتُهُ في السَّحاب حتى تستحق هذه الكرامة؟ فقال صَاحِبُ الحَديقة: «أَمَا إِذْ قُلْتَ هذا» أي: سألت عن السبب، «فإنّي أنظر إلى ما يخرج من هذه الحديقة من الثمار، وأحسبُ قَدْرَه وأقسمه إلى ثلاثة أثلاث «فأتصدقُ بثلثه»، وفي رواية أخرى المسلم: «وَأَجْعَلُ ثُلثه فِي المَساكِينِ»، ويَشمَلُ الفُقراءَ ونحوهم، «والسَّائِلِينَ» وهو الَّذِي يَسأَلُ الطَّعامَ أو حاجته، «وابْنِ السَّبِيلِ» وهو المسافر الجتاز الَّذِي يَحتاجُ نفَقةً تُوصِلُه إلى مَوطِنه، «وآكُلُ أنا وعيالي ثلثا، وأَردُّ فيها ثلثه»، أي: إن صاحب الحديقة يراعي الحقوق في ثمرها فيخرج حق الفقراء والمساكين ثلثاً، ويَأكُلُ هو وأولاده ثلثها، ويرد الثلث الأخير في عمارتها وحفظ أصلها، فيُنفِقُه في مؤنة عمل الحديقة بدوزًا وحَرْفًا وتهيئة وغير ذلك؛ ليتجدد الزرع والمحصول.

-كان هناك رجلاً صالحاً أسمه إبراهيم بن الأدهم أراد أن يعرف أو يتعرف على اسم الله «الرزاق» فذهب إلى كهف في منطقة جبلية منعزلة، وهذه المنطقة لا يرتادها أحد بسبب بعدها عن الطريق، فضلت قافلة طريقها و دخلت في تلك المنطقة، ونزلت أمطار غزيرة من السماء، فرأى أحد أعضاء القافلة كهفاً في الجبل، وأشار على الجميع بالدخول

عليه حتى يتوقف نزول المطر، وفعلاً دخل الجميع إلى الكهف، ورأوا ذلك الرجل الصالح وكلموه فلم يرد عليهم، وصنعوا طعاماً ودعوه لتناوله، فلم يتحرك، فقالوا: لعل أعضائه قد ضعفت من الجوع، قربوا إليه الطعام، فقربوه إليه، فلم يمد يده إليه، فقالوا: لعل يداه متيبستان من البرد، أدخلوا الطعام في فمه، فقام رجلان وأرادا فتح فمه بالقوة لإدخال الطعام فيه، وهنا ضحك الرجل الصالح، فقالوا له هل أنت يا هذا مجنون؟؟ فقال: كلا وإنما أردت معرفة ربي الرزاق وعلمت أنه يرزق كل خلقه، في أي مكان كانوا.

-وقيل إنه رأى يوماً غراباً انقض على سفرة طعامه، وخطف منها رغيف خبز، ثم انطلق بها بعيداً، وتكرر نفس الشيء في اليوم التالي، فركب ابن الأدهم حصانه وانطلق خلف الغراب، فوجده قد حط على إحدى المناطق الجبلية شديدة الوعورة، فصعد إليها إبراهيم وهناك وجد رجلاً، مقيد اليدين والرجلين، ففك وثاقه وسأله عن سبب وجوده هنا في هذا الحال فقال الرجل: إنه كان في قافلة، فخرج عليهم قطاع الطرق واستولوا على كل ما فيها وقتلوا أصحابه وتركوه حيا، ولكنهم قيدوه ليموت من الجوع، قال: فكنت أدعو باسم الله الرزاق، فبعث الله غراباً كان يأتيني كل يوم برغيف خبز، وكان يقطعه بمنقاره قطعاً صغيرة، ثم يضعه في فمي، حتى جئت أنت لإنقاذي.

-ورأى رجلاً عصفوراً كان يأتي رأس نخلة، فيصفر قليلاً ثم يضع شيئاً ويذهب وكان هذا المنظر يتكرر يومياً، فصعد الرجل إلى رأس النخلة فوجد فيه أفعى عمياء، قد جعل الله رزقها على هذا العصفور، الذي كان يأتي إليها حاملاً طعامها، فيصفر لها فتفتح فمها، فيضع فيه الطعام ويذهب. ولكن ..!!

أن تطمئن إلى أن رزقك مضمون، ليس معنى ذلك أن تترك السعي، لأن في هذا قدح في الأسباب، ورسولنا الكريم ﷺ يقول: «لَوْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى

اللَّه حَقَّ تَوَكَّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا»[1]
وهنا وقفة مع هذا الحديث العظيم تتمثل فإن الرزق بيد الله وحده.

-لذلك يجب علينا التوكل عليه وحده وسؤال أرزاقنا منه سبحانه..

-ثم العمل بالأسباب الدنيوية، وإتقان أعمالنا «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتْنقِنَهُ»[2]

والتحرك هنا وهناك بحثاً عن عمل يناسب قدراتنا ويزيد في دخلنا وهذا مصداق قوله في الحديث السابق عن الطير أنها تروح وتغدو، أي أنها تتحرك للبحث في أسباب رزقها، مع توكلها المطلق على الله الرزاق

ومن الأسباب المعينة علي كثرة الرزق:

١- ترك المعاصي والذنوب لحديث رسول اللهﷺ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمَ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ»[3]

٢- الاستغفار، والإكثار منه، ففي سورة نوح {فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيُمْدِدكم بِأَمْوَلِ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا} [سورة نوح: ١٠ - ١٢].

---

(١)تفسير القرطبي ١٠٧/٨.

(٢)مسند أبي يعلى الموصلي ٣٤٩/٧.

(٣)السنن الكبرى للنسائي ٣٨٠/١٠.

وحديث رسول الله: «من لزم الاسْتِغْفَار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حَيْثُ لا يحتسب»[1].

٣- الصلاة وخاصة قيام الليل فإنه مجلبة للرزق.

٤- الذكر أول النهار وآخره أذكار الصباح والمساء.

٥- تعاهد الصدقة لقولهﷺ «استنزلوا الرِّزْقَ بالصَّدَقَة»[2]، ثم بعد هذا كله أرض بما قسمه الله لك، لأن الله وزع أرزاق الخلائق قبل خلق الخلق كلهم بخمسين ألف عام.

-ذكر أحد العلماء قصة رجل كان يجادل ويناقش بعض أصحابه في موضوع الرزق، وكان رأيه أن العبد يجب عليه أن يأخذ بالأسباب ويبحث بالوسائل المتاحة عن رزقه مع توكله على الله تعالى، إلا أن أصحابه غلبوه على رأيه، وأقنعوه أن رزقه سيأتيه دون أن يفعل شيئاً، وفعلاً اقتنع بكلامهم، وذهب إلى أحد المساجد، وجلس هناك في زاوية بعيدة من وراء ستار بحيث لا يراه أحد، وفي نفس اليوم جاء غني يريد عمل وليمة في المسجد، ودعى لها الفقراء الموجودين هناك، وفعلاً عمل الوليمة وأكل منها كل من حضر إلا ذاك الرجل وراء الستار لأنه لا يعلم أحد بوجوده هناك، وهو لم يعلمهم بوجوده، وفي اليوم الثاني تكرر نفس الأمر ، وكذلك تكرر في اليوم الثالث، وفي اليوم الرابع جاء الغني بوليمته إلى المسجد لكنه لم يجد أحد من الفقراء، وعلم من قيم المسجد أن هناك رجلاً غنياً آخر عمل وليمة في المسجد المجاور وقد ذهبوا جميعاً إليها، فتأسف الرجل وقالـ للقيم: انظر لعلك تجد أحد يأكل هذا الطعام، فقال القيم لا يوجة أحد هنا غيري وغيرك.

---

(١)رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه والحاكم والبيهقي، كلهم من رواية الحكم بن مصعب وقال الحاكم: صحيح الإسناد.

(٢)فوائد ابن شاهين ١/١٠٠.

وهنا تنحنح الرجل الذي وراء الستار وقال أحم.. أحم.. فذهب إليه الاثنان ووجداه يكاد يتلف من شدة الجوع، فأحضر إليه الطعام، فأنقض عليه يأكل بنهم وشراهة وهو يصيح ويقول «قلت لهم .. قلت لهم.. إن الرزق يحتاج إلى سعي وبحث في أسبابه ولو أن تقول أحم.. أحم».

-ودخل سيدنا عمر بن الخطاب المسجد يوماً فرأى جماعة مقيمون في المسجد، متفرغون فقط للعبادة والصلاة، ولا يغادرونه، فقال لهم من أنتم؟ قالوا: نحن المتوكلون فدخل إلى داره وأحضر الدرة وأخذ يضربهم بهم ويقول: بل أنتم المتواكلون، هيا أخرجوا وابحثوا عن أرزاقكم فإن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة».

ومعلوم أن الصحابة وبالرغم من طاقتهم الإيمانية العالية، وشدة تمسكهم بعبادتهم، وبحضور مجلس النبي ﷺ الدائم لشدة محبتهم له، والتعمق في دينهم، إلا أنه كان لكل واحد عمل دنيوي يسترزق منه ويحرص على متابعته ، فهذا سيدنا عمر بن الخطاب، كان له بستان مع أحد الأنصار، فكان يرعاه يوماً، ويذهب الأنصاري لمسجد رسول اللهﷺ، واليوم التالي يقوم الأنصاري على البستان ويذهب عمر إلى مجلس رسول الله.

السجن

ولي لقاء عابر من اختصرت حياته في غرفة ضيقة، إلى من أفنى سنوات حياته سجينا، إلى من لازمت الأغلال يديه ورجليه، إلى من زج به في غياهب السجون وعذاباته سنون طويلة إلى من تعودت عيناه ظلام السجن، فأصبح حزيناً محبطاً يائساً لا يرى فرجاً قريباً وتسلل الظلام إلى نفسه فاسودت الدنيا في عينيه.

رويدك أخي المبتلى بالسجن:

اعلم أن هذا قدرك المقدر لك، وهذه حياتك المكتوبة في لوح الله المحفوظ قبل خلق الخلق كلهم بخمسين ألف عام، وكل ما عليك هو أن تحاول أن تتأقلم مع وضعك، حتى تحافظ على روحك سليمة وإرادتك صلبة قوية، لأنه لا بد يأتي يوم تسقط فيه هذه الأغلال من يدك، وتتحطم قضبان السجن عن جسدك، وتنطلق مرة أخرى للحياة.

وربما تكسبك تجربة السجن هذه خبرات تساعدك في صنع حياة أفضل لك بعد ذلك، وأهم شيء حافظ عليه في سجنك هي علاقتك بالله تعالى، احرص على أن لا تنقطع، لأن المدد المادي والمعنوي الذي سيساعدك في محنتك هذه، بيده ومنه سبحانه وتعالى، وإذا كانت علاقتك مقطوعة قبل دخولك السجن فهذه فرصتك لوصل حبل الود بينك وبينه، فهو وحده من بيده إخراجك من محنتك، حتى لو وقف الكون كله ضدك، ثم هي فرصة لك أيضاً لزيادة رصيد حسناتك في بنك الاعمال الصالحة، هذا الرصيد الذي ستحتاج إليه يوم القيامة للنجاة من سجن جهنم الذي هو السجن الحقيقي والذي من دخله يخلد فيه بعذاب وهوان وذل دائم.

وكثيرون غيرك سبقوك في هذا البلاء، وسيأتي بعدك من يمشي في ذات الطريق، فالزم الصبر، وتدثر بحسن الظن بالله، وترقب الفرج..

أخي المبتلى:

لا تساعد قسوة السجن وظلمته، في إنهاك روحك، وسلب طاقتك، لا تجعل حدود فكرك جدران هذا السجن بل انطلق إلى ما وراء القضبان، من خلال حفظك للقرآن إن استطعت، أو قراءة أكبر قدر ممكن من الكتب المتاحة، وتثقيف نفسك أو الحصول على شهادتك الجامعية إن لم تكن حصلت عليها، أو تتعلم مهنة تساعدك على كسب قوتك بعد خروجك من السجن، أو إتقان لغة أجنبية تساعد في تحسين وضعك مستقبلاً.

أشياء كثيرة تستطيع فعلها، وتؤدي إلى شغل وقتك والابتعاد بفكرك عن ألم السجن، وضيق الحبس .. وأهم نصيحة أهمسها في أذنك «لا تترك الصلاة أبداً» فهذه هي حبل النجاة، ومركب الأمان لأي مبتلى إذا حافظ عليها فسيقف الله إلى جانبه، يقويه ويثبته، ويهون عليه مصابه، ثم يفرج عنه كربته برحمته وكرمه.

والسجناء اثنان، إما سجين دخل السجن بسبب فعل خاطئ ارتكبه، وثبت جرمه عليه، فهو يقضي عقوبة فعله، وهذا أيضاً خير من الله تعالى، لأن عقوبة الدنيا مهما كانت قاسية مؤلمة، فهي أخف بكثير من عقوبة الآخرة، وقد تفضل الله عليك بهذه العقوبة ليطهرك، ويغفر لك ما ألممت به من ذنب بسبب فعلك السيئ، فأحمد الله على ذلك.

والسجين الثاني: من دخل السجن ظلماً، أو بسبب مواقفه السياسية أو الفكرية خاصة في مقاومة الاحتلال، أو أخذ بشكل عشوائي لا يدري لماذا سُجن، وما هي تهمته ؟؟

وهؤلاء سجنهم يكون ابتلاء ينبغي عليهم الصبر عليه، حتى يأذن الله لهم بالفرج، وهناك أناس كثيرون من هؤلاء دخلوا السجون، وقاسوا فيها مقاساة شديدة، والبعض منهم عذب، وأفرغ الله على قلوبهم الصبر والثبات «حتى من غير المسلمين»، إلى أن جاء اليوم الذي كتب

الله لهم الفرج وكلهم خرجوا من سجونهم، مرفوعى الهامة، وأصبحوا رمزاً هاماً من رموز بلدانهم، تحتفي بهم الأجيال بعد أن كانوا ملقيين في مقالب النسيان، وزوايا الإهمال، وبعد أن كانوا يظنون أنهم سقطوا من ذاكرة الأمة لسنوات طويلة.

ثم ماذا ..؟؟

عادوا ليصبحوا هم كل ذاكرة الأمة، وتراثها الذي تفتخر به.

فهيا معي هات يدك، وتنقل في سطور السجناء قبلك وتخيل أن هذه السطور تتكلم عنك، من خلال حكايا من سجنوا قبلك، وربما يأتي من يكتب عنك في أحد الأيام كما كتب عنهم، وتكون بطلاً كما هم أبطال، ولكن...!!

تذكر أن البطولة نصنعها نحن بأفعالنا، ولا يمنحها لنا الغير، فتلفت حولك في نفسك، وداخل ذاتك، اسألها

- هل تشكل ذاتك من خلال محنة سجنك لتصير بطلاً بعد خروجك ..؟؟

أم أنك تركتها لتذوب في غياهب السجون..!!

يوسف عليه السلام

سأعود بك مرة أخرى أيها المبتلى بالسجن ظلماً إلى أشهر سجناء التاريخ البشري على وجه الإطلاق إلى سيدنا يوسف، الذي حينما سئل سيدنا محمدﷺ من أكرم الناس؟ قال: يوسف عليه السلام لأنه من سلالة النبوة، ومعدن الرسالة.

هذا النبي العظيم الذي رفض الانجرار إلى المستنقع الأخلاقي الأسن، الذي دعته إليه زوجة العزيز، حينما راودته عن نفسه لارتكاب الفاحشة معها، وحينما رفض، واعتصم بالله، ألقت به في غياهب السجن بدعوى الفاحشة.

توقف هنا قليلاً، وتأمل في الأحداث التي تبدو لنا متناقضة، مبهمه غير مفهومة..

- نبي من أنبياء الله يدخل السجن .. !! وبأي تهمة ..؟؟ «إنها الفاحشة».

- كيف تحولت المذنبة إلى سجان.. وتحول البريء العفيف إلي سجين ..!!

- ولماذا تمشي الأحداث بهذا النسق المتناقض..!!

إنها عمى البصيرة عند الناس، وهو أيضاً قدر الله تعالى أن تسير الأحداث بهذه الكيفية حتى تسدل ستار النهاية، وهناك فقط نعرف أن الخيرة فيما يختاره الله دوماً لعبده.. وإن في قدر الله الخير العميم، حتى لو كانت بدايته مؤلمة وقاسية في نظرنا الضعيف العاجز.

ونعود لقصة سجيننا الذي دخل السجن، بتهمة ملفقة باطلة، ويا لها من تهمة تمس السمعة، وتقضي على مكانته الإنسان في مجتمعه - وهنا همسة في أذنك أيها السجين المظلوم-يا من تخاف على تلوث سمعتك وسمعة أولادك وكل أسرتك بسبب سجنك، وأن يطاردهم عار سجنك حتى الممات، كما يحدث في كثير من المبتلين في السجون وأهاليهم، مع نظرة المجتمع التي تطاردهم باحتقار واتهام مستمر.

هذه الهمسة تقول لك «اعلم أن قلوب العباد بيد الله وحده، يقلبها كيفما يشاء، وهو وحده من يقذف الحب والقبول لشخص ما عند الناس، أو البغض والنفور لشخص آخر لذلك لا تشغل نفسك كثيراً بهذا الأمر، ولا تعره أدنى قدر من اهتمامك وقلقك، وتوجه بحبك وودك لربك، يوجه إليك سبحانه قلوب عباده بمحبتهم واحترامهم مهما كنت وأينما كنت وستجد قلوب كثيرة سمعت بسجنك فتوجه أصحابها بالدعاء لك بالفرج، وقرب الخلاص، وعندما تخرج سيحرص كثيرون على استقبالك والتباهي بصبرك وثباتك، فقط اجعل قلبك وحبك كله الله تعالى».

انتهت الهمسة لنعود مرة أخرى لنعيش معاناة سيدنا يوسف، حفيد الأنبياء في سجنه، ترى ما الذي كان يفعله في سجنه، هل ضجر ؟؟ .. هل ضاقت نفسه؟! هل يئس وأحبط ويسأل الله في مرارة وغضب لماذا يا رب..؟! كما يفعل الكثير منا اليوم مع أول محنة تواجهه.

لم يذكر لنا القرآن الكريم الذي أورد قصته، ولم تشير كتب التاريخ التي تعمقت في تفاصيلها أي شيء من هذه الترهات وعلى العكس استغل سيدنا يوسف سجنه، في التفرغ لعبادة الله، والدعوة إلى توحيد العبادة وإخلاصها الله وحده، كما حرص على مكارم الأخلاق، والتعامل الراقي الحسن مع زملائه في سجنه، ونجد مصداق ذلك في شهادة رفيقيه له بقولها {إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ} [سورة يوسف: ٧٨] والإحسان هو قمة الرقي الأخلاقي في التعامل.

وماذا كان يعمل أيضاً...؟! إنه يستعمل خبراته ويصقلها في سجنه من خلال ما أنعم الله عليه من قدرة في تفسير الأحلام، ويعرض هذه الموهبة في تفسير حلمي صاحبيه في السجن، ثم يأخذ بالأسباب عندما طلب من الذي توقع خروجه من السجن طلب منه أن يكلم الملك في أمره، أي لم يكن سجيناً محبطاً، انزوى في ظلمة السجن، ويئس من فرج الله ورحمته، كما يفعل كثير من سجناء اليوم.

ومرت على يوسف سنوات كثيرة، قيل عشر سنوات، وقيل هي أقل، وقيل بل أكثر، وربما أن الناس كانوا قد نسوا يوسف، ولم يعد أحد يتذكره، لكن رب يوسف لم ينساه، وحينما يأمر الفرج، يأتي به بأهون سبب، وذلك من خلال رؤيا الملك، والذي عجز عن تفسير كل المحيطين به، بينما استطاع يوسف تأويلها له، ومما أذهل الملك بقدرات هذا السجين وعينه على خزائن مصر بعد تبرئته من تهمة الفاحشة التي أدخل بها السجن، ثم بعد وفاة الملك أصبح يوسف هو ملك مصر، واجتمع بوالده وأخوته، ونقرأ نهاية قصة هذا السجين

الكريم، على لسانه، وهو يتذكر نعم الله عليه ويقول {رَبِّ قَدْ ءاتيتني مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ ولي في الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَالْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ} [سورة يوسف: ١٠١].

إذاً هو لم يذكر في مناجاته لربه، المعاناة والشدائد والكرب، التي رافقته طوال حياته، بل تذكر نعم الله عليه، وإحسانه له، ثم يكون طلبه من ربه أن يتوفاه مسلماً ويلحقه بالصالحين.

ويذكر بعد ذلك دليل الفرج لكل مكروب بقوله: {إِنَّهُ مَن يَتَّقِ ويصبرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ} [سورة يوسف: ٩٠] إذا هو دليلك أخي المبتلى في سجنك، تقوى الله «والتقوى أن يراك الله حيث أمرك ويفتقدك حيث نهاك»، أي التزام العمل الصالح والابتعاد عن الذنوب والمعاصي، ثم الصبر الذي هو المعول القوي في هدم جدران الكرب، ثم ترقب بعد ذلك الفرج مع كل شروق شمس ليوم جديد.

أحمد بن حنبل

أخي المبتلى بالسجن، هذه قصة أخرى، لرمز عظيم من رموز الإسلام، ابتلى بالسجن وعُذب بالسوط، وظل في محنته التي عُرفت «بمحنة خلق القرآن» والتي كانت في زمن ثلاثة من الخلفاء العباسيين هم المأمون ثم المعتصم ثم الواثق، حتى أذن الله بانفراج الكرب في زمن الخليفة العباسي «المتوكل على الله».

ومحنة ابن حنبل في خلق القرآن تداولتها كل كتب التاريخ الإسلامي، ولا مجال هنا للخوض في تفاصيلها، لكن ما يهمنا هو التدليل على أن الأنبياء والصالحين هم أشد الناس بلاء، وهم الأكثر ثباتاً في أيام المحن والكرب العظيمة.

فهذا الإمام العظيم وهو أحد الأئمة الأربعة، وصاحب المذهب الحنبلي المعروف، والذي كان ورعاً عابداً، زاهداً في كل هذه الدنيا ومتاعها الزائل، يقضي وقته في طلب العلم، والتمسك بسنة رسول الله ﷺ ، وقد حفظ «أربعين ألف حديث» جمعها في كتابه «المسند».

بدأت قصة محنته عندما رفض أفكار المعتزلة في زمن الخليفة المأمون حيث قالوا إن القرآن مخلوق، وأرغموا كثير من الناس والعلماء على الاعتقاد بها، بعد اتباعهم لأساليب الترهيب والتنكيل لكل من يرفض هذه الفكرة، لكن الإمام أحمد بن حنبل رفض هذه الفكرة وأعلن رفضه لهم، وقال أن القرآن الكريم كلام الله أنزله على سيدنا محمد ﷺ.

ولأجل هذا الموقف سيق الإمام أحمد إلى السجن وعُذب وضرب بالسياط ليتخلى عن معتقده، لكنه رفض ولزم الحق وثبت عليه.

يقول الإمام وهو يتكلم عن محنته هذه بعد ذلك، إن الله نفعه بكلمتين سمعهما من رجلين معه في السجن .

الأول فكان قاطع طريق، وذلك حينما رأى الإمام في السجن قال له: «أثبت يا إمام فإنك أن تُقتل، تُقتل من هنا وتدخل الجنة من هنا، فإن مت مت شهيداً، وإن عشت عشت مجيداً»، أما الآخر فكان لشارب خمر حيث حُبس بسبب شربه للخمر، فقال «يا إمام أثبت فإنك تجلد في الحق فاصبر واحتسب، وأنا جُلدت في الخمر مئات المرات وأنا أصبر أفأصبر أنا في الحد ولا تصبر أنت في الحق !!».

كانت هذه الكلمات وقوداً أضافه الله تعالى إلى طاقة الإمام ابن حنبل، فزادته صبراً على صبره وعندما خرج إلى الساحة ليُضرب بالسياط كان صائماً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقد كانت هذه المحنة في رمضان، ويقول الذي كان يجلده بالسوط والله أنني كنت أجلده فأقول أن السوط التالي سينفذ من جسمه لشدة الجروح التي كانت عليه من تأثير الضرب، وهو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثابت على موقفه.

ومرة أخرى، ومثال آخر، محنة السجن، وابتلاء الحبس والتعذيب، يقدرها الله تعالى لأحد أوليائه الصالحين، وذلك ليقضى الله أمراً كان مفعولاً، وذلك ليعلم الناس أن أقدار المحن، هي في ذات الوقت أقدار المنح يمن بها الله على من يشاء من عباده.

فبعد السجن والتعذيب الشديد يأذن الله تعالى بالفرج في زمن «المتوكل على الله» الذي يلغي فكرة خلق القرآن، ويعيد للإمام أحمد ابن حنبل مكانته حتى يخرج من سجنه بعد أن ثبته الله تعالى، وثبت بثباته الناس، في أن القرآن كلام الله أنزله على سيدنا محمد ﷺ.

أخي المبتلى بالسجن تلفت حولك، أنظر إلى ما يرسله الله إليك من أمور قد تساعدك على التعايش مع سجنك، لعلها كلمات مشجعة ممن حولك، أو أجر عظيم تحتسبه عند الله تناله في محنتك، أو مكانة

متميزة قد تنالها بسبب ثباتك وذلك بعد خروجك، أو أناس آخرين وجدوا فيك القدوة والمثال في صبرك، أو .... أو ..

استكشف أنت عوامل الثبات في كل ما حولك، ستجدها لأن الله تعالى لم ولن يتخلى عنك وأنت وحدك في سجنك، وهو يقدر الأقدار، ويُعد الظروف لإخراجك من هذه المحنة.

تأمل معي أخي المبتلى:

إن تعاظم المحنة، واشتداد الكرب، وتناهي البلاء، سيسفر عن انفراج واسع وجزاء عظيم إن الله تعالى لم ولن ينساك، حتى لو نساك و الناس، وتخلوا عنك، هو سبحانه لن يتخلى.. فقط ثق به.. وكله في أمرك .. ثم نم قرير العين.. مطمئن النفس.. لأن الفرج منك قريب بيد إله لا يضيع ولا يخيب.

- ذكرت كتب التاريخ أن أحد الولاة سجن شاباً في سجنه سنوات عدة، وكان هذا الشاب مظلوماً في جريمة لم يرتكبها، وجاءت والدة هذا الشاب إلى الوالي تستعطفه في إطلاق ابنها من السجن، ولما سألها عن اسم ولدها، استشاط غضباً ورفض إطلاق سراحه بعد أن أخبرته باسمه ونادى الحاجب وأمره بالذهاب إلى حارس السجن وكتب أمراً بقتل هذا الشاب وعندما وصل الحاجب بالأمر إلى حارس السجن، فتحوا الورقة فوجدوا فيها «يطلق فلان بن فلان» فعاد الحاجب بالورقة إلى الوالي، فازداد غضب الوالي وكتب أمر آخر بالقتل وأعطاه للحاجب... ولكن عندما فتحه حارس السجن وجد فيه «يطلق فلان» وتكررت نفس القصة في المرة الثالثة، وهنا أُسقط يد الوالي وقال أردنا قتله وأراد الله تعالى إطلاقه فجرى القلم في يدي بما أراده الله لا ما أراده الوالي، ثم أمر بإطلاق سراحه.

- شتان بين الكرب والفرج، بين المحنة والمنحة، بين الحزن والسرور وقد تكون المسافة الفاصلة بين الوضعين المتناقضين شهور.. أو سنوات وربما معظم العمر لكنها عند الله تعالى في حرفين هما «الكاف» و «النون».

ومتى أراد انقشاع الغمة، وحل الأزمة وفك الكربة يقول لها كوني فتكون.

طليق الرحمن

روي عن الحسن البصري أنه قال: كنت بواسط (بلدة بالعراق) فرأيت رجلاً كأنه نبش من قبره فقلت: ما دهاك يا هذا؟

فقال: (أكتم على أمري، حبسني الحجاج منذ ثلاث سنين، فكنت في أضيق حال، وأسوأ عيش وأقبح مكان، وأنا مع ذلك صابر لا أتكلم، فلما كان بالأمس، أخرجوا جماعة من الناس كانوا معي فضربوا رقابهم، وتحدث حراس السجن أن غداً يضرب عنقي، فأخذني حزن شديد وبكاء مفرط، وأجرى الله تعالى على لساني فقلت: (إلهي اشتد الضر، وفقد الصبر، وأنت المستعان) ثم ذهب من الليل أكثره فأخذتني غشية، وأنا بين اليقظان والنائم إذ أتاني آت فقال لي: قم فصلي ركعتين، وقل: يا من لا يشغله شيء عن شيء، يا من أحاط عمله بما ذرأ وبرأ أنت عالم بخفيات الأمور ومحصي وساوس الصدور وأنت بالمنزل الأعلى وعلمك محيط بالمنزل الأدنى تعاليت علواً كبيراً يا مغيث أغثني وفك أسري واكشف ضري فقد نفد صبري).

فقمت وتوضأت في الحال، وصليت ركعتين، وتلوت ما سمعت منه ولم تختلف علي منه كلمة واحدة، فما تم القول حتى سقط القيد من رجلي، ونظرت إلى أبواب السجن فرأيتها قد فتحت فخرجت ولم يعارضني أحد فأنا والله طليق الرحمن، وأعقبني الله بصبري فرجاً، وجعل لي من ذلك الضيق مخرجاً.

الوحدة واليتم

إلى كل وحيد في هذا العالم إلى اللذين فقدوا أسرهم، إلى اللذين فقدوا أحبائهم وأصحابهم إلى الأبوين اللذين فقدوا أولادهما، أو تخلوا عنهم وتركوهما عاجزين وهما في أمس الحاجة إليهم.

إلى الأطفال اللذين فقدوا والديهم أو أحدهما، فصاروا يعانون من مرارة اليتم وقسوة الناس إلى الكثير والكثير من سكان الشوارع، أطفالاً ونساءً وعجزة، ممن يزاحمون حيوانات الشوارع على فتات الناس، وبقاياهم في صناديق القمامة.

إليكم جميعاً:

أرفعوا رؤوسكم إلى الأعلى، إن لهذا الكون آلة مدبر، ورب حكيم، وهو قريب جداً إليكم، إن من أسماء الله تعالى «الصاحب» فهو صاحب كل وحيد، ومؤنس كل مستوحش.

لستم وحدكم في هذه الدنيا حتى لو ابتعد عنكم أقرب المقربين وتخلوا عنكم.

اسألوا الله تعالى الصحبة، فهو خير لكم من صحبة من سواه من البشر، والجميل في علاقة الإنسان بربه أنه لا يحتاج فيها لواسطة، ولا مواعيد رسمية، ولا أموال رشوة للمحيطين، وكل ما عليك للتواصل مع «ملك الملوك» هو أن تهتف باسمه بصدق وعمق، فتقول يا رب فستجده أقرب المقربين إليك وهو يقول «لبيك عبدي»، ثم اسأله الصحبة، ولا تجعل ظروفك القاسية التي تمر بها حجة لك لتبتعد عنه لأنك بذلك ستضاعف معاناتك، وتؤخر انكشاف الغمة عنك.

أرجوك:

أبذل محاولة جادة في مصاحبة «الله تعالى»، اتخذه صاحباً وحبيباً قريباً، وهو من سيسخر لك قلوب الناس ويكفي في الإقبال على الله تعالى ثواباً عاجلاً، أن الله سبحانه وتعالى، يقبل بقلوب عباده إلى من

أقبل بقلبه عليه، كما أنه يعرض بهما عمن أعرض عنه، فقلوب العباد بيد الله لا بأيديهم، وفي حديث لرسول اللهﷺ «وَمَا أَقْبَلَ عَبْدٌ عَلَى اللَّه بِقَلْبِهِ إِلَّا أَقْبَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ بِقُلُوبِ عِبَادِهِ، وَجَعَلَ قُلُوبَهُمْ تَفِدُ إِلَيْهِ بِالْوُدُ وَالرَّحْمَةِ، وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ خَيْرٍ إِلَيْهِ أَسْرَعَ»[1]

هل جربت ذلك.. هل حاولت طرق باب الله فعدت خائباً ...؟

محال.. وألف محال .. أن تسأله الصحبة ويتخلى عنك.. لأنه ببساطة يصاحبك منذ كنت في العدم في علم الغيب، وحتى تستقر في الخلود، في الجنة أو النار، فكيف تظن أنه لن يكون معك في رحلتك القصيرة في هذه الدنيا، والتي ليست سوى ممر فقط بين وجودك في الغيب وحياتك في الخلد.

وتتجلى عظمة الخالق.. حيث ورد في الاثر ، قال سبحانه وتعالى: «يا ابن آدم جعلتك في بطن أمك.. و غشيت وجهك بغشاء لئلا تنفر من الرحم وجعلت وجهك إلى ظهر أمك لئلا

تؤذيك رائحة الطعام.. وجعلت لك متكأ عن يمينك و متكأ عن شمالك: فأما الذي عن يمينك فالكبد.. وأما الذي عن شمالك فالطحال.. وعلمتك القيام والقعود في بطن أمك.. فهل يقدر على ذلك غيري؟ فلما أن تمّت مدتك.. وأوحيت إلى الملك بالأرحام أن

---

(١)رواه الطبراني في الأوسط (١٢/٦) من حديث أبي الدَّرْدَاء رضي الله عنه.

يخرجك فأخرجك على ريشة من جناحه.. لا لك سن تقطع ... ولا يد تبطش.. ولا قدم تسعى فأنبعث لك عرقين رقيقين في صدر أمك يجريان لبناً خالصاً.. حار في الشتاء وبارداً في الصيف.. وألقيت محبتك في قلب أبويك.. فلا يشبعان حتى تشبع... ولا يرقدان حتى ترقد.. فلما قوي ظهرك وأشتد أزرك.. بارزتني بالمعاصي في خلواتك .. ولم تستحي مني .. ومع هذا إن دعوتني أجبتك.. وإن سألتني أعطيتك.. وإن تبت إليّ قبلتك».

أيها الوحيد تفاءل لست وحيداً.. لأن لك رباً صاحب.. عنايته تحيطك،من بين يديك، ومن خلفك وعن يمينك وشمالك، ومن فوقك وتحتك، فلا تبتعد عنه، وإلهك الصاحب ، إله وفي، إذا سعيت إلى صحبته بجد وعزم وجدته معك في كل وقت، وأي مكان.

عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: مَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً، وَمَنْ لَقِيَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطِيئَةً لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئًا، لَقِيتُهُ تحيطك، بِتُرَابِهَا مَغْفِرَةً»[1]

وعنهﷺ قَالَ: «قَالَ اللهُ عز وجل: يابن آدَمَ، إِنْ ذَكَرْتَنِي فِي نَفْسِكَ وعنه الا ذَكَرْتُكَ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرْتَنِي فِي مَلَا ذَكَرْتُكَ فِي مَلَإٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ - أَوْ قَالَ: فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ - وَإِنْ دَنَوْتَ مِنِّي شِبْرًا دَنَوْتُ مِنْكَ ذِرَاعًا، إِن دَنَوْتَ مِنِّي ذِرَاعًا دَنَوْتُ مِنْكَ بَاعًا، وَإِنْ أَتَيْتَنِي تَمْشِي أَتَيْتُكَ أُهَرْولُ»[2]

---

(١)لوامع الأنوار البهية ٣٦٩/١.

(٢)مسند أنس بن مالك ٢١٦/٢.

ماذا تريد أيها الوحيد أكثر من هذه الأدلة، وهذا النداء، من أوفى يتيم الأصحاب، لتعود إلى صحبته، وتقتنع بمودته.

وتأبى كلماتي في هذا المجال، إلا أن تمسح بحنان وعاطفة، دمعة فقد أمانه في هذه الدنيا بفقد والديه، أو أحدهما، وصار وجهاً لوجه مع وجه الحياة القاسي، التي لا ترحم يتمه وضعفه، ثم أوجه هذه الكلمات إلى من يوجد عندهم يتيم أو أيتام، أن اتقوا الله في هذه الفئة الضعيفة من الناس، واعلموا أن خير منزل عند الله، منزل يكرم فيه يتيم ، وشر منزل منزل يهان فيه يتيم.

ففي حديث الرسول الله ﷺ: «أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ كَهَاتَيْنِ فِي الجَنَّةِ»[1]

«وَقَرْنَ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ الْوُسْطَى وَالَّتِي تَلِي الْإِبْهَامَ».

وفي حديث آخر: «مَنْ مَسَحَ عَلَى رَأْسِ يَتِيمٍ كَانَ لَهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ تّمر عَلَى يَدِهِ نُورٌ يَوْمَ الْقِيَامَة»[2]

وقولهﷺ: «اللَّهُمَّ إِنْ أُحَرِّجُ حَقَّ الضَّعِيفَيْنِ الْيَتِيمِ، وَالمَرْأَةِ»[3]

كما قالﷺ ويقول تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يأكلون فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا} [سورة النساء: ١٠].

واعلم يا أيها اليتيم أن مكانتك عند الله عظيمة، ولك عنده دعوة لا ترد، وأن أفضل خلق الله أجمعين سيد الأولين والآخرين، كان يتياً أيضاً، وكثير من عظماء التاريخ البشري كانوا أيتاماً مثلك وكفلهم رب العالمين، ورعاهم، ثم بعد أن كبروا صاروا من الأسماء اللامعة في سماء بلدانهم.

---

(١)سنن أبي داود برقم (٥١٥٠) وهو في صحيح البخاري برقم (٦٠٠٥) من طريق ابن أبي حازم به.

(٢)التفسير الوسيط للواحدي ٥١٢/٤.

(٣)أخرجه ابن ماجه (٣٦٧٨)، والنسائي في الكبرى (٩١٤٩).

فلا تحزن ولا تبتئس وكفكف دموعك الحارة عن مقلتيك الصغيرتين، لست وحدك.. حتى لو لم تجد الحنان، ودفء العاطفة من حولك، فإن ربك أحسن وأرحم منهم جميعاً لست وحدك .. الله معك ولن يتركك.

الذنوب والمعاصي

نعم.. إن «الذنوب والمعاصي» هي ابتلاءات أيضاً لكن خطرها يكمن في أنها تستوجب العقوبة في الدنيا والآخرة، كما أنها قد تكون سبباً في كثير من الابتلاءات والكرب الدنيوية التي تصيب الإنسان أو سبباً في تأخر الفرج وامتداد فترة البلاء والكرب.

أخي المبتلى بالذنب:

ألم يأن لك الأوان لمداواة بلائك، والشفاء من سقمك..؟!

ألا تحس بألم الضمير.. وثقل المعاناة وأنت منغمس في الذنب.. بعيد عن رضى الرب؟ هل يستحق الله سبحانه وتعالى منك كل هذا العقوق والجحود وهو الذي خلقك بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وسخر لك مخلوقات كونه ، ورزقك وعافاك، وتولاك في كل أمورك، وإذا دعيته أجابك ولباك.؟

وهل يستحق منك الشيطان كل هذه الطاعة وهو الذي يحمل لك حقداً دفيناً، وحسداً عميقاً منذ خُلق أبوك آدم في الأزل؟ إنه يجرك من معصية إلى أخرى، ومن ذنب إلى آخر، وفي النهاية هو يجرك إلى النار ثم يقول: {إِن اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [سورة إبراهيم: ٢٢].

واسمع إلى نداء الله لك {أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ۖ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ} [سورة يس: ٦٠].

وفي عتابه سبحانه لك {افاتَتَخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بدلًا} [سورة الكهف: ٥٠].

أين عقلك وأنت تصادق عدوك، وتعادي حبيبك.. ألا تعلم أن وجودك في هذه الدنيا محدود بفترة زمنية قصيرة ثم تغادرها، فكيف تضيع هذه الفترة فيما يضرك ولا ينفعك.

استيقظ أيها المبتلى الغافل من سباتك، واستدرك بقية عمرك وصالح ربك، قبل أن توقظك سكرات الموت وحينها تتمنى وتقول {رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ} [سورة المؤمنون: ٩٩ - ١٠٠].

ولكن الوقت يكون قد فات ويقال لك {إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ۖ وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ} [سورة المؤمنون: ١٠٠].

ورد في بعض الكتب أن العبد إذا تاب وأصلح عمله مع ربه، تتنادى الملائكة، كل ملاك ينادي آخر يقولون «أن هنئوا فلان بن فلان فقد اصطلح مع ربه» إن توبتك تفرح الله سبحانه وتعالى، وتفرح الكون كله إن الجميع مشغولون بك يرددون عودتك إلى كنف ورعاية ربك، يريدون لك الشفاء من سقمك، والمعافاة من ذنبك.

وسأطلعك على بعض ما يوضح لك مكانتك عند ربك، ودعوته لك للرجوع، لأنه ينتظر ليغفر لك.

قال تعالى: {قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} [سورة الزمر: ٥٣].

خاطبك أنك عبده، بالرغم من أنك أسرفت على نفسك بالذنوب والمعاصي لكن لا تيأس، وعد إليه، واستغفره، واطلب رحمته، فستجده يغفر لك ذنبك ويرحمك.

ويقول لك أيضاً: {وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا} [سورة النساء: ١١٠].

وفي حديث رسول اللهﷺ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: سَمِعْتُ «رَسُولَ اللَّهِﷺ يَقُولُ: قَالَ الله تعالى: يابن آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ ولا أبالي يابن آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غفرت لك، يابن آدَمَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابَ الْأَرْضِ خَطَايا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً»[1]

وفي الصحيح عنهﷺ أنه قال: «إِنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، ويبسط يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّى تطلع الشمسس مِنْ مَغْرِبِهَا»[2]

وفي الحديث القدسي «يا عبادي إنكم تذنبون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعاً، فاستغفروني أغفر لكم».

وفي الحديث الصحيح: «لو لم تُذنِبُوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذنبونَ وَيَسْتَغْفِرُونَ فَيَغْفِرُ هُمْ»[3]

وصح عنهﷺ: «للّه أَشَدَّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فَأَيسَ مِنْهَا فَأَتَى شَجَرَةٌ فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا قَدْ أَيسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ فَبَيْنَما هُوَ كَذَلِكَ إِذْ هُوَ بِهَا قَائِمَةٌ عِنْدَهُ فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا فَقَالَ مِنْ شِدَّةِ الفَرحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَح»[4].

---

(١)معارج القبول بشرح سلم الوصول ٢٧٨/٣.

(٢)رواه مسلم كتاب التوبة (٢١١٣/٤).

(٣)أخرج مسلم (٩٤/٨) عن أبي هريرة، وأبي أيوب نحوه، وهما مخرجان في (الصحيحة) ٩٦٨ و ٩٦٩ ، وله فيه شواهد ٩٦٧ و ٩٧٠.

(٤)البخاري ١٠٢/١١ في الدعوات باب التوبة، ومسلم ٢١٠٤/٤/ ح ٢٧٤٧ في التوبة، باب الحض على التوبة

وصح عنه ﷺ «إِنَّ عَبْدًا أَذْنَبَ ذَنْبًا فَقَالَ: أَيْ رَبِّ أَذْنَبْتُ ذَنْبًا فَاغْفِرْهُ لِي، قَالَ: فَقَالَ رَبُّهُ عَزَّ وَجَلَّ: عَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ ويأخذ به؟ غفرت لعبدي، ثم مكث ما شاء الله، ثم أذنب ذَنْبًا آخَرَ فَقَالَ: رَبِّ أَذْنَبْتُ ذَنْبًا فَاغْفِرْهُ لِي، فَقَالَ رَبُّهُ عَزَّ وَجَلَّ: عَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي فَلْيَفْعَلْ مَا شَاءَ»[1]

والمعنى هنا أنك إذا لحقت الذنب بالتوبة والاستغفار، فإن الله سيغفر لك، مع كل ذنوبك وتقصيرك .

أخي المبتلى:

دائك ذنوبك، ودوائك استغفارك وتوبتك، فلا تؤخر الدواء ولا تسرفه، فيستفحل الداء وينتشر البلاء حتى لا تستطيع تداركه.

- ذكر في بعض الأحاديث أن ملك الحسنات أمير على ملك السيئات، بحيث إنه متى عمل سيئة لا يكتبها ملك السيئات إلا بعدما يأمره ملك الحسنات يقول له: اصبر ! لعله أن يستغفر، لعله أن يتوب، لعله أن يأتي بما يكفر هذه السيئات {وإِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ} [سورة هود: ١١٤].

فإذا أَصَرَّ كتبت تلك السيئة، وإذا عمل سيئة بعدها فهكذا، وفي رواية: (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار) فيجتمعون في صلاة العصر، وفي صلاة الفجر، ينزل ملائكة النهار في صلاة الفجر ويجتمعون مع ملائكة الليل في صلاة الفجر، فيصعد الذين باتوا فيكم أي ملائكة الليل، ثم ينزل ملائكة الليل في صلاة العصر، فيجتمعون مع ملائكة النهار، فيصعد ملائكة النهار.

---

(١)إسناده صحيح على شرط البخاري ومسلم.

هؤلاء الملائكة حفظة؛ يحفظون الإنسان مما لم يقدّر عليه، يقول الله تعالى: {لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ} [سورة الرعد: ١١].

هؤلاء المعقبات هم الملائكة الذين يتعاقبون فيكم.

معقبات: أي يأتي هؤلاء عقب هؤلاء يحفظونه بأمر الله، فيقول في بعض الروايات لو تخلوا عن حفظه لاختطفته الشياطين، واختطفته الجن والهَوَامُّ والسباع ونحوها من الأعداء، ولكن الله يحفظه، وقد وكل من يحفظه بأمره. (١)

انظر إلي حرص الله عليك، إذا لم تستطع ترك الذنب، وغلبتك نفسك على معاودته، فعلى الأقل أستغفر منه قل: «أسْتَغْفِر الله العظيم».

- ورد في حديث المصطفىﷺ: «مَنْ قَالَ عِندَ نَوْمِهِ: أَسْتَغْفِر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتُوبُ إِلَيْهِ، غَفَرَ الله ذُنُوبَهُ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْل زبد البحر، وعدد الرمال وعَدَدَ أَيَّامِ الدُّنْيَا»(٢)

- وفي حديث النبي ﷺ: «مَنْ قَالَ فِي يَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»(٣).

- قال ابن القيم رحمه الله -: إنَّ إبليس قال: «أهلكت بني آدم بالذنوب، وأهلكوني بالاستغفار وبـ (لا إله إلا الله)، فلمَّا رأيتُ ذلك بثثت فيهم الأهواء، فهم يُذنبون ولا يتوبون؛ لأنهم يحسبون أنهم يُحِسنون صنعاً»(٤)

---

(١)من الموقع الرسمي لسماحة الشيخ عبد الله بن عبدالرحمن الجبرين - يرحمه الله.

(٢)البحر المديد في تفسير القرآن المجيد٣٠٥/٣.

(٣)رواه البخاري ومسلم

(٤)مفتاح دار السعادة (١٥٨/١).

- ذكر أن رجلاً كان في بني إسرائيل عبدَ الله عشرون عاماً، ثم عصاه عشرون عاماً، وفي يوم من الأيام نظر في المرآة فرأى الشيب في رأسه فقال: يا رب عبدتك عشرون عاماً، وعصيتك عشرون عاماً،فإن عدت إليك، هل تقبلني، فسمع هاتفاً يقول: «عبدتنا فأحببناك، وعصيتنا فأمهلناك، وإن عدت إلينا قبلناك».

- ورجلاً آخر اسمه ذو الكفل كان لا يتورع عن ذنب، وجاءته امرأة فقيرة تطلب منه مالاً، فقال لها أنه لن يعطيها المال إلا إذا مكنته من نفسها، فذهبت ثم عادت ثانية فقال لها كما قال لها في المرة الأولى وهي ترفض، ثم في المرة الثالثة وبسبب حاجتها وافقته على طلبه، فلما أراد أن يرتكب الفاحشة بكت المرأة وارتعدت فقال لها: لماذا تبكين؟ فقالت: أخاف الله تعالى لأني لم أرتكب هذا الذنب قبلاً، فقال لها: الله وأنت لم تفعلي ما يغضبه من قبل وأنا أعصاه منذ سبعين عاماً، فأنا أحق بالخوف منك» ثم أنه أعطاها المال، وتركها تمضي دون أن يمسها وتاب عن ذنوبه، ثم مات من ليلته، وفي الصباح، وُجد مكتوباً على بابه: «إن الله قد غفر لذو الكفل».

- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «كَانَ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ، فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّهُ قَدْ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَهَلْ لِلْقَاتِلِ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لَا، فَقَتَلَهُ فَكَمَّلَ الْمَائَةَ. ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ فَهَلْ لِي مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ وَمَنْ يَحول بَيْنَكَ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا فَإِنَّ بِهَا نَاسًا يَعْبُدُونَ اللَّهُ تَعَالَى فَاعْبُدْهُ مَعَهُمْ وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضُ سُوءٍ، فَانْطَلَقَ حَتَّى أَتَى نِصْفَ الطَّرِيقِ فَأَتَاهُ الْمَوْتُ فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَى الله تَعَالَى. وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ ادميّ وَتَوَسَّطَ بَيْنَهُمْ فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضِينَ

فَإِلَى أَيْهَما كَانَ أَدْنَى فَهُوَ له فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أدْنَى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ بِشِبْرٍ فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحمةِ».

- تذكر أيها المذنب العاصي أن الله سبحانه وتعالى يحبك، حتى وأنت عاصي له بعيد عنه هو يحبك يناديك بحبه لك لتعود إليه، مشتاق إليك، حريص على قربك منه.

- أوحى الله تعالى إلى داود «قل لشباب بني إسرائيل: لم تشغلون أنفسكم بغيري وأنا مشتاق إليكم ؟ ما هذا الجفاء؟ لو يعلم المدبرون عني كيف انتظاري لهم ورفقي بهم ومحبتي لترك معاصيهم لماتوا شوقاً إلي، وتقطعت أوصالهم من محبتي.. يا داود هذه إرادتي للمدبرين عني فكيف إرادتي للمقبلين علي !!.

- قال الفضيل بن عياض: يقول الله تعالى «ابن آدم أنا أقلبك في نعمتي وأنت تتقلب في معصيتي فاحذر لئلا أصرعك بين معاصيك، ابن آدم أتقتني ونم حيث شئت».

- وفي ابتلاء «الذنوب والمعاصي» الناس يكونون أصناف عديدة.

- هناك من لا يحس نفسه انه في ابتلاء يجب عليه تداركه في البحث عن الدواء، ويظل يسوف في التوبة ويؤجلها حتى تنقضي أيام عمره ليواجه الموت بحسرة وندم على ما قدمت يداه.

- وصنف آخر من الناس يحتج على ذنوبه أن الناس كلهم مذنبون، وأن سيدنا آدم نفسه عصى الله تعالى، ويتناسى في غمرة صرخات احتجاجه البلهاء هذه، أن ادم كما عصى فإنه أيضا ندم وتاب إلى الله على ذنبه، واستغفر لمعصيته حتى غفر الله له.

- وصنف ثالث يتنصل من مسئولية ذنوبه بقضاء الله وقدره وأن الله تعالى هو من قدر عليه أن يكون عاصياً مذنباً ضالاً، وليس له يد في

ذلك، وهؤلاء نقول لهم: «هل اطلعت على اللوح المحفوظ و عرفت ما قدره الله لك حتى يحتج إنه قضاء الله وقدره عليك، ثم هل حاولت التوبة والفرار من ذنوبك إلى الله، فردك الله خائباً، أم أنك غارق في الذنوب، مستمر بالمعاصي، بعيد عن الطاعات ثم تقول هذا قدر الله علي» اعلم أخي المبتلى إن الله محال أن يرد من طرق بابه تائباً، يسأله الهداية.

- وهذا «الفضيل بن عياض» اسم لامع من أسماء الورع والزهد في التابعين، كان بداية حياته قاطع طريق، وسارق، وفي أحد الأيام، وبينما كان يتسلق جدار أحد المنازل لسرقته، سمع صاحب البيت يتلو قوله تعالى: {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ} [سورة الحديد: ١٦].

وهنا أدركته رهبة وخشية، وأخذ يبكي ويقول بلى يا رب قد آن... بلى يا ربي قد آن، ثم تاب وأصبح من كبار التابعين، ومثله «رابعة العدوية» التي بدأت حياتها في لهو ومجون وعبث، ثم رجعت إلى الله وتابت وأصبحت من الأسماء المعروفة في الورع والزهد و من آثارها المشهورة عنها أنها كانت تصلي في اليوم والليلة ألف ركعة» فقيل لها في ذلك فقالت: «أردت أن يأتي رسول اللهﷺ يوم القيامة يباهي ويقول بين الأمم، هذه امرأة من أمتي كانت تصلي ألف ركعة في اليوم والليلة».

- وصنف رابع يريد التوبة، ويتمنى في قرارة نفسه أن يتخلص من أوزار ذنوبه ومعاصيه، لكن شياطين الإنس والجن يثبطونه عن ذلك، ويئيسونه من قبول توبته، وأنه لا فائدة منه، وأن الله لن يقبل توبته خاصة إذا كان قد أسرف كثيراً على نفسه، وهؤلاء الشياطين لهم مداخلهم، إما في نفس الإنسان أو إذا رأوه جاداً في عزمه، لجأوا إلى تهديده، وإرهابه بشتى الوسائل والأساليب، ومن ضمن تلك الوسائل

التشهير بما كان يفعله في طريق غوايته أو ضلاله، أو تهديده بنشر صور أو تسجيلات لنزواته أو الضغط على أسرته لإقناعه بالتراجع عن توبته والرجوع مرة أخرى لظلمه المعاصي والآثام معهم وأقول لهذا الصنف من الناس «أثبت على توبتك، وهنيئاً لك أوبتك ورجوعك إلى ربك، واعلم أن الله لن يخذلك، سيقبل توبتك مهما كان عملك، وسيحميك ويدافع عنك وينصرك على هؤلاء اللذين يضغطون عليك للرجوع عن هدايتك، واعلم أن الله وحده هو النافع والضار وأن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، وأنهم بكل جبروتهم وشرهم، أتفه من يملكوا النفع والضر لأنفسهم، فضلاً على أن يملكوه لك، وأن الله سيرد عنك كيدهم ومكرهم {وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ} [سورة الأنفال: ٣٠]

{وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّى إلا بِأَهْلِهِ} [سورة فاطر: ٤٣]، وأكثر من قول: «حسبي الله ونعم الوكيل ، وأيضاً وأفوض أمري إلى الله بصير بالعباد» والله يقول: {فَوقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا} [سورة غافر: ٤٥].

كما أن الرزق بيد الله وحده، لا يملك أحد أن يقطع رزق كتبه الله لعبد، أو يرزق عبداً رزقاً لم يكتبه الله له، وأن رزقك مقسوم ومقدر، فإما أن تضعف وتأخذه بالحرام ويكون إثم ووزر عليك، أو تثبت وستناله لا محالة لكن بالحلال، فيكون انشراح وطمأنينة لنفسك.

- ذُكر أن علي بن أبي طالب دخل يوماً إلى أحد المساجد ليصلي، وأعطى زمام بغلته لأحد الغلمان وجده بباب المسجد ليحفظها له، فما كان من الغلام إلا أن قطع لجام البغلة وسرقه وهرب، فلما فرغ علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من صلاته، خرج فوجد لجام البغلة مقطوع، فعلم أن الغلام قد سرقه، فأعطى خادمه درهمين وقال له أن يذهب إلى السوق يشتري

لجاماً للبغلة، وعندما ذهب الخادم، وجد الغلام يبيع اللجام في السوق فاشتراه منه بالدرهمين، وعاد إلى علي فأخبره بالأمر، فقال علي سبحان الله العظيم كنت أنوي مكافئته بدرهمين، وكان سيأخذها حلالاً، إلا أنه أصر على أن يأخذهما حراماً والشاهد هنا أخي المبتلى أن رزقك كميته، ونوعيته، سيأتيك في ساعته المقدرة له، والخيار بيدك أن تأخذه حرام أم حلال.

- ونقطة أخيرة في هذا المجال، وأوجه حديثي بها إلى من عافاهم الله هذا البلاء، ورزقهم الهداية وصلاح الأعمال، اعلم أن الله قد منَّ عليك بذلك، فلا تغتر نفسك بحالك، واسأل الله الثبات الدائم، فقد تزل قدمك في أي لحظة إن ظننت أنك وحدك هديت نفسك وأصلحتها.

ثم لا تنظر إلى المبتلين بالذنوب بالاحتقار والازدراء، وتظن نفسك مالك خزائن رحمة الله فتوزع الناس إلى الجنة أو النار، بل انظر إليهم بعين الرحمة، واسأل الله لهم الهداية، وحاول أن تأخذ بأيديهم إلى التوبة ولا تقنطهم ابداً من رحمة الله مهما بلغ حجم ذنوبهم ومعاصيهم وشجعهم على أن يكون لهم عمل ولو صغير يكون باب لهم يدخلون منه إلى رحمة الله يوم القيامة، وتذكر أن الله تعالى أرسل سيدنا محمد ﷺ {رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ} وأن الراحمون في الأرض يرحمهم الله يوم القيامة.

- ذُكر فى أحد الكتب أن رجلاً كان مسرفاً على نفسه، وكان معروفاً عنه كثرة ذنوبه ومعاصيه، ولما مات جاء أهله إلى أحد الرجال الصالحين في ذاك البلد ليصلي عليه، لكنه رفض بسبب ما عُرف عنه من إسرافه على نفسه بالمعاصي وقال: صلوا أنتم على ميتكم، وفي الليل ،نام فوجد ذلك العاصي يسبح في أنهار الجنة، ويتنقل بين أشجارها ويقول: {قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذَا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإِنفَاقِ وَكَانَ الْإِنسَانُ قَتُورًا} [سورة الإسراء: ١٠٠]، «رفضت أن تصلي علي لكن رحمة ربي وسعتني»، فاستيقظ ذلك الرجل الصالح متعجباً و في الصباح ذهب إلى زوجة الرجل وسألها عن عمل زوجها، فقالت له هو كما علمتم عنه، غير أنه كان كل ليلة جمعة يجمع أيتام الحي، ويقدم لهم الطعام ويضحكهم،

ويمسح على رؤوسهم ويقول لهم «ادعوا لعمكم فلعل الله أن يرحمه ويغفر له» فقال الرجل الصالح:

هذا هو الباب الذي دخل منه.

وأخيراً لا تيأس أخي المبتلى بالذنب، واجعل لك عملاً بينك وبين الله تعالى، يدخلك إليه يوم القيامة، واعلم أن امرأة بغي من بني إسرائيل، كان ترتكب الفاحشة، دخلت الجنة بسبب كلب سقته كان يلهث من شدة العطش، فشكر الله لها، فغفر لها.

- ليكن ذلك العمل تسبيحة صادقة، أو دمعة خاشية، أو صلاة على رسول اللهﷺ، أو تهليله من قلب حاضر أو صدقة مخفية، أو مسح لرأس يتيم أو كفالته، أو تفريج كربة مكروب، أو السير في حاجة محتاج أو التيسير على معسر.. أو ركعتين في جوف الليل تنعم بها بمناجاة ربك.. أو... أو .. كثيرة هي الأعمال فلا تستقل عملاً صالحاً مهما صُغر، فلعله يكون سبباً في مغفرة الله لك، ونجاتك من النار، ودخولك الجنة.

خطوات عملية في مواجهة الابتلاء

أحاول هنا أن أخط إلى كل مبتلى خطوات عملية ربما تستطيع مساعدته في مواجهة بلائه:

1 - أول هذه الخطوات:

قبل وقوع البلاء يجب على كل إنسان هنا أن يسأل الله المعافاة الدائمة في الدنيا والآخرة، وكان من دعاء النبي ﷺ الدائم «اللَّهُمَّ إِنِّي أسألك العفو والْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهلِي وَمَالي»[1]

كما يجب علينا أيضاً سؤال الله تعالى الصبر على قضائه إذا نزل بنا، وهذه من الأشياء التي كان سيدنا محمد ﷺ يحرص عليها في دعائه

«اللهم إني أسألك الصبر عند القضاء».

ونحرص أيضاً على أن تكون علاقتنا بالله تعالى موصولة في الرخاء، وذلك أدعى أن يستجيب لنا في البلاء لحديث رسول اللهﷺ «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُسْتَجَابَ لَهُ عِنْدَ الْكَرْبِ وَالشَّدَايِدِ فَلْيُكْثِرْ مِنَ الدُّعَاءِ فِي الرَّخَاءِ»[2]

٢- ثاني هذه الخطوات:

تتمثل في وقوع البلاء، وأول ما يجب علينا فعله محاولة حبس ألسنتنا عن النطق بما يدل على سخطنا وجزعنا من قضاء الله، ولتكون أول كلماتنا «إِنَّا اللَّهَ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللهُمَّ أْجِرنِي فِي مُصِيبَتِي وَاخلف لي خَيْرًا مِنْهَا إِلَّا آجَرَهُ الله فِي مُصِيبَتِهِ، وَأَخْلَفَ لَهُ خَيْرًا»[3]

---

(١)تفسير القرطبي ١٧٧/٣.

(٢)تفسير الألوسي ٨٠/١١.

(٣)تفسير البغوي - إحياء التراث ١٨٧/١.

}وتذكر أخي المبتلى أن الصبر عند الصدمة الأولى، وأن الشيطان يتربص بك لينتزع منك كلمة أو فعل سخط تحبط بها أجرك، وتفقد ثواب مصيبتك عند الله تعالى.

٣- ثالث هذه الخطوات:

مع استمرار البلاء، وطول فترته، يجب عليك أخي المبتلى أن تسأل الله باستمرار أن يفرغ على قلبك الصبر، ويثبتك حتى تستطيع التأقلم مع بلائك، لأن الإنسان مهما كانت طاقته من الصبر، ومهما كان جلده، وقوة تحمله، مع استمرار فترة البلاء ربما يضعف ولا يستطيع مواصلة الصبر، ولذلك عليه اللجوء إلى الله تعالى، وطلب مساعدته والذي سيمدك بعون منه ، وإن المعونة منه على قدر المؤونة.

وتذكر أن من أسماء الله الحسنى الصبور فالصبر منه وبه سبحانه {وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ} [سورة النحل: ١٢٧].

٤- رابع هذه الخطوات:

البحث في الأسباب المؤدية إلى الفرج وقد ذكرناها سابقاً، وأهمها دعاء مستمر، وطرق باب الله بإلحاح، وعدم اليأس مهما تأخرت الإجابة قال تعالى {ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لكم} [سورة غافر: ٦٠] وتيقن بالإجابة، وأن المسافة بين الأرض والسماء هي دعوة عبد، وإجابة رب، فإن قال العبد يا رب، قال الله تعالى: لبيك عبدي

{أَمَّن يجيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكشِفُ السُّوء} [سورة النمل: ٦٢].

وتذكر أن الله تعالى له في كل يوم شأن، ذكر عبد الله بن مسعود في تفسير {كل يومٍ هُوَ فِي شَأْنٍ} [سورة الرحمن: ٢٩] أن اليوم عند الله اثنا عشرة ساعة، فالثلاث الساعات الأولى ترفع فيها أعمال العباد، فينظر فيها سبحانه فيطلع على ما يكره فيغضب لذلك، وأول من يحس بغضبه حملة العرش، فيسبحونه، ويسمع ملائكة السماء تسبيح حملة العرش فيسبحونه أيضاً، وتسبحه كل الكائنات في السماء والأرض، إلا الثقلين

الجن والإنس «ربما لأجل ذلك شرعت أذكار الصباح والمساء» ، ويظلون كذلك لمدة ثلاث ساعات حتى يمتلئ الرحمن رحمة ويسكن غضبه، فتلك ست ساعات ثم في الثلاث ساعات التالية، ينظر في أرحام المخلوقات، فيقرر فيها ما تكون، ثم في الثلاث الساعات الاخيرة، ينظر في أرزاق الخلائق ومقاديرها.

٥- خامس هذه الخطوات هو نزول الفرج:

وهذا آتٍ لا محالة، مثله كمثله طلوع الشمس، بعد ليل أسود طويل، وعليك أخي المبتلى أن تثق بذلك، كثقتك بوجودك في هذه الحياة، لأن الفرج لا بد يأتي بعد الكرب، وأن العسر يأتي بعده يسر،فلا تنسى من أنعم عليك بالفرج، فكن حامداً لله شاكراً له فضله وإحسانه إليك وخذ العبرة مما مر بك من بلاء أعرف أسبابه، حتى تتجنبها مستقبلاً، ولا تكن ممن ذكرهم رسول الله ﷺ أنهم «كالبعير لا يدري فيما عقل ولا لماذا أطلق».

فالمؤمن يعرف أن الابتلاء رسالة من الله تعالى إليه، يجب عليه قراءتها جيداً، واستيعاب مغزاها، فلا يعود بعد أن يمنّ الله عليه بالفرج، إلى ما كان عليه قبل الابتلاء من بعد عن الله ومعاصي وذنوب، ربما كانت هي السبب فيما مر به من كرب.

مختارات مما قاله الشعراء والصالحون والحكماء في الفرج بعد الكرب[1]

١-علي بن أبي طالب:

أن أقول لنفسي وهي ضيقة وقد أناخ عليها الدهر بالعجب

صبراً على شدة الأيام إن لها عقبى ما الصبر إلا عند ذي الحسب

سيفتح الله عن قرب بنافعة فيها لمثلك راحات من التعب

٢-عثمان بن عفان وقيل لغيره:

خليلي لا والله من ملحة تدوم على حتى وإن هي جلت

فإن نزلت يوماً فلا تخضعن لها ولا تكثر الشكوى إذا النعل زلت

فكم من كريم قد بلى بنوائب فصابرها حتى مضت واضمحلت

وكانت على الأيام نفسي عزيزة فلما رأت صبري على الذل ذلت

٣- للحسن ابن أبي الخضر:

إلى الله كل الأمر في الخلق كله وليس إلى المخلوق شيء من الأمر

إذا أنا لم أقبل من الدهر كلما تكرهت منه طال عتبي على الدهر

ووسع صدري للأذي كثرة الاذي وقد أحيانا يضيق به صدري

وصبرني يأسي من الدنيا راجياً لحسن صنيع الله من حيث لا أدري

---

(١)الفرج بعد الشدة - للتنوخي

٤ – لإبراهيم بن العباس الصولي:

ولــرب نازلة يـضيق بها الفتــى ذرعاً وعند الله منها المخرج

ضاقت فلما استحكمت حلقاتها فرجت وكان يظنها لا تفرج

٥- ولغيره:

قد يصح المريض من بعد يأس كان منه ويهلك العواد

ويصـاد القطــا فينجــو سـليماً بعد هلك ويهلك الصياد

٦- ولغيره:

ربـــــــما خـــــير للفتـــــي وهـــو المخـــير كـــاره

وأتـــــاه الـــــسرور مـــــن حيـــث تـــأتي المكـــاره

٧- ولأبي العتاهية:

إنـــــــــما الـــــدنيا هبـــات وعـــــوار مـــــــستردة

شـــــــدة بعـــــد رخـــاء ورخـــاء بعـــد شـدة

٨- ولسالم بن عمرو:

إذا أذن الله في حـــــــاجة أتــاك النجاح على رسـله

و قرب ما كـــان مـــستبعداً ورد الغريــب إلى أهلـه

فلا تسأل الناس من فضلهم ولكن سل الله من فضله

٩-ولأبي العتاهية أيضاً:

يا صاحب الهم إن الهم منقطع ابــشر بذاك فإن الكــافي الله

البأس يــقطع أحياناً بصــاحبه لا تيــأس كــأن قد فــرج الله

الله حـسبك مما عذت منه بــه وأيــن أمنع ممن حسبــه الله

هن البلايا ولكـن حســبنا الله والله حسبـك في كــل لك الله

هون علـيك فإن الصــانع الله والخير أجمع فيــما يـصنع الله

فيا نفس صـبراً على ما قدر الله وسلمـي تـسلمي فالحـاكم الله

إذا بليت فثق بالله وتــرضى بـه إن الذي يكشف البلوى هو الله

الحمد الله شكراً لا شريــك لـه ما أسرع الخير جداً أن يـشا الله

١٠- وقال آخر:

لكــــل غــــم فــرج عاجـل يأتيك في المصبح والممسي

لا تتهم ربــــك فيــما مضـى وهون الأمر تطـب نـفســا

١١- ولعلي بن جبلة:

عســى فــرج يــكون عسى تعلــل نفــسنا بعــسي

فــلا تقنــط وإن لاقيــت همــاً يقــبض النفـسا

فأقــرب مــا يــكون الـمرء مــن فــرج إذا يئــسا

١٢ – ولآخر:

ألا فاصطبر ما دام في النفس مسكة عسى فرج يأتي به الله في غد

وإن أمــرأ رب الســماء وكيلــه حـري بحـسن الظن غير مبعد

١٣- ولأبي الحسن القاضي:

خلـقان لا أرضــى فعـــــالهما تيـــه الغنـــى ومذلـــة الفقر

فـإذا غنيــت فلا تـكن بـــطرا وإذا افتقـرت فته علـى الدهر

واصـــبر فلســـت بواجـد خلقا أدنى إلى فـــرج مـــن الـصبر

١٤ – ولأبي يعقوب الخزيمي:

يقولون صبراً والتصبر شيمتي ألم تعلموا أن الكريم صبور

هل الـدهر إلا نكبـــة وســلامة وإلا فبؤس مرة وحبور

١٥ – ولآخر:

الـــدهر لا يبقى علـــى حـــاله لا بـــد أن يقبـــل أو يـــدبر

فـــإن رمـــاك يوماً بمكـــرهة فاصبر فإن الدهر لا يصبر

١٦ – ولآخر:

مفتاح بـــاب الفـــرج الصبـــر وكل عـــــسر بعـــده يسر

الـــدهر لا يبـــقى على حـــاله وكـــل أمـــر بعـــده أمـــر

والكـــرب تغنيـــــه الليـــالي التي أتى عليها الخير والشر

كلمة أخيرة

إليك أخي المبتلى هذه الكلمات التي خطها الدكتور/ عائض القرني في كتابه «لا تحزن» خُطها أنت على سطور عقلك، فلعلها تنير لك دروب الكرب والضيق من حولك:

أيها الإنسان:

يا من ملَّ من الحياة، وسئم العيش، وضاق ذرعاً بالأيام، وذاق الغصص، إن هناك فتحاً مبيناً، ونصراً قريباً وفرجاً بعد شدة، ويسراً بعد عسر، أن هناك لطفاً خفياً من بين يديك ومن خلفك، وهناك أملاً مشرقاً ومستقبلاً حافلاً، ووعداً صادقاً «وعد الله لا يخلف الله وعده».

إن لضيقك فرجه وكشفاً، ولمصيبتك زوال، إن هناك أنساً وروحاً وندى وطلا وظلاً.

{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ} [سورة فاطر: ٣٤].

أيها الناس:

إن على رأس جبل المشقة والضنى والإجهاد، جنة أصابها وابل، فهي ممرعة، فإن لم يصبها وابل فطل من البشرى، والفأل الحسن والأمل المنشود.

يا من أذهب الهم لبه: رويدك، فإن لك في أفق الغيب فرجاً، ولك من السنن الثابتة الصادقة فسحة، يا من ملأت عينك بالدمع، كفكف دموعك وارح مقلتيك، اهدأ فإن لك من خالق الوجود ولاية، وعليك من لطفه رعاية اطمئن أيها العبد، فقد فرغ من القضاء، ووقع الاختيار، وحصل اللطف، وذهب ظمأ المشقة وابتلت عروق الجهد، وثبت الأجر عند من لا يَخيب لديه السعي.

اطمئن:

فإنك تتعامل مع غالب على أمره، لطيف بعباده، رحيم بخلقه، حسن الصنع في تدبيره..

بعد الفقر غنى وبعد الظمأ ري، وبعد الفراق اجتماع، وبعد الانقطاع اتصال، وبعد السهاد نوم هادئ «لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً».

أيها المعذبون في الأرض بالجوع والضنك والألم والفقر والمرض أبشروا، فإنكم سوف تشبعون وتسعدون وتفرحون، وتضحكون إن المرض يزول والمصاب يحول والذنب يغفر، والدين يقضى والمحبوس يُفك، والغائب يقدم والعاصي يتوب، والفقير يغتني.

إن شدائدك إلى رخاء، وعيشك إلى هناء، ومستقبلك إلى نعماء.

لهيب الشمس يطفئه وارف الظل وظمأ الهاجرة يبرده الماء النمير، وعضة الجوع يسكنها الخبز الدافئ، ومعاناة السهر يعقبه نوم لذيذ، وآلام المرض يزيلها لذيذ العافية، فما عليك إلا الصبر قليلاً والانتظار لحظة ثم يأتي من الله الفرج القريب.

الخاتمة

يقول الله تعالى: {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [الروم: ٤١].

ويقول تعالى: {وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ} [الشورى: ٣٠]. مع تأكيدنا على هذه النظرة المتفائلة، على أن الله يفرج الكرب ويزيل الهم، ويشفي المريض في اجتماع، ومن ويُطلق السجين والأسير، ويقضي دين المدين، ويرد الغائب، ويسعد الحزين وأن الفرج بعد الكرب، وأن العسر لا بد أن يعقبه يسر، سنة كونية مؤكدة من سنن الله في هذة الحياة.

إلا أنه لا بد لنا من وقفة مراجعة مع الذات، أمام تلك المحن والابتلاءات، وأن نعترف بصدق أننا السبب في كل ما يحدث لنا.

نعم أيها الإنسان «يا خليفة الله في الأرض»....

استخلفك الله تعالى لتصلح الأرض، وسخر لك كل ما عليها أو ما فيها، وأرسل لك رسله لتهديك إلى خيري الدنيا والآخرة، وأنزل عليك كتبه السماوية، بأوامره ونواهيه، وفيها كل التفاصيل لمناحي حياتك، والإجابات الشافية لأسئلتك، والسكينة والطمأنينة لغيك وضلالك. فماذا فعلت أنت...؟

تلفت حولك، وانظر في نفسك، تأمل ملاقاتك بربك، وتعاملك مع إخوانك، ومع الأرض التي تعيش عليها.

والإجابة حقيقة جداً مؤلمة ... !!

فسدت وأفسدت.. طغيت وتجبرت.. عصيت وأشركت.. ابتعدت عن الإله الخالق وتحالفت مع الشيطان العدو أكرمك الله بعبوديته وأهنت نفسك

بمعصيته ظلم الإنسان أخيه الإنسان، وسفك دمه، وأستحل عرضه وماله وتلاشت مكارم الأخلاق أو كادت، واقتصر الدين على شعائر وعادات خالية من روح العبودية الحقة الله تعالى في دور العبادة، وانفصل الدين عن أخلاق كثير من الناس في تعاملات حياتهم اليومية.

وهذه الأرض الجميلة والتي طالها فسادك في كل نواحيها، برها وبحرها وحتى غلافها الجوي التي أصبحت تئن في ألم شديد بعد انقراض كثير من كائناتها وحيواناتها، وأشجارها، وحتى أحجارها.

إن صرخات الغضب ضدك من الكون كله، الذي سئم وجودك فيه، ومل فسادك وعبثك عليه.

سبحان الله العظيم، الكون كله ينتفض ضدك في غضب شديد والله سبحانه وتعالى أرحم الراحمين هو من يحميك ويدافع عنك.

ثم بعد هذا كله، وإذا أصابك بلاء أو امتحان عابر، ملأت الدنيا صراخاً وعويلاً ، وشكوت وشككت في عدالة الله تعالى «أستغفر الله العظيم»، وانطلق لسانك غاضباً لماذا.. وكيف وما السبب..؟؟

{قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ..... } [سورة آل عمران: ١٦٥].

تأكد أيها الإنسان المعترض: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَاٰكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} [سورة يونس: ٤٤]

كما يجب عليك أن تعترف: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ} [سورة الرعد: ١١].

وإذا... أيها الإنسان «يا خليفة الله في الأرض».

عد إلى ربك ..

أصلح وتصالح مع ذاتك.

تواصل مع إخوانك واسعى لهم في الخير كما تسعاه لنفسك «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه».

أصلح في الأرض، تعامل بحنان ورحمة مع كل سكانها وكائناتها {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ} [سورة الأنبياء:١٠٧].

«المؤمن كالغيث حيثما وقع نفع» [١].

ثم بعد ذلك عش سعيداً، مطمئن النفس، هادئ البال، منشرح الصدر، لأنك تحت رعاية الله وعنايته، لأنه سبحانه رعاك وتكفل بك منذ أن كنت نطفة في صلب أبيك، ثم جنيناً في بطن أمك، فهل يتخلى الآن عنك وقد أصبحت مخلوقاً تسعى في مناكب الأرض ؟!

بكل تأكيد محال وألف محال.

«اللهم اجعلنا ممن استخلفتهم فكانوا كما أردتهم، وابتليتهم فصبروا كما أمرتهم، وكانوا من الذين أحببتهم وأحبوك ورضيت عنهم ورضوا عنك بفضلك وكرمك وجودك يا أرحم الراحمين».

اللهم آآآمين وصلى الله على نبينا محمد «الصادق الأمين».

تم بحمد الله وتوفيقه

---

(١) حديث صحيح.

كلمة شكر

قال تعالى: {وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ}

وفي الحديث النبوي: «من لم يشكر الناس لم يشكر الله»[1].

بعد الحمد والشكر الله سبحانه وتعالى....

هناك كلمة الشكر أوجهها لكل من ساعدني في إنجاز هذا الجهد المتواضع ....

إلى ...

- والدتي التي وفرت لي الكثير من الوقت والجهد...
- الذين قدموا لي الدعم المالي وتبنوا هذا الكتاب مادياً... ومن شاركوا بآرائهم ومقترحاتهم في إنجازه.
- الذين قاموا بصف وإخراج هذا الكتاب.
- كل داعية وكاتب ألقى محاضرة أو ألف كتاباً ساهم فيه بإفراغ الصبر والجلد على قلب كل مبتلى، واعتمدت عليه في إنجاز هذا الكتاب. س
- كل صاحب بلاء صبر على بلائه حتى من الله عليه بالفرج من عنده فكان بذلك نبراساً يهتدى به المبتلون من بعده.

لهم جميعاً كل الشكر والتقدير، ولعله يكون في ميزان حسنات الجميع.

أ. أروى الغزالي

---

(1)رواه الإمام أحمد والترمذي وصححه الألباني برقم ٦٥٤١ في صحيح الجامع.

الفهرس

مقدمة 3

المبتلى مع الله 5

أسباب الابتلاء ومعناه 10

الصبر 12

الصلاة 18

الدعاء 21

الذكر 29

قراءة القرآن 34

حسن الظن بالله 36

توكيل الله 42

البحث في الأسباب الدنيوية 45

المبتلى مع الناس 49

معركة المبتلى مع الشيطان 56

أول وأوسع الابتلاءات المرض 60

الظلم 76

السجن 94

الذنوب والمعاصي 110

خطوات عملية لمواجهة الابتلاء 121

مختارات شعرية 124

كلمة أخيرة 128
الخاتمة 130
كلمة شكر.....133

إلي كل من ضاقت عليهم الأرض بما رحُبت، وضاقت عليهم أنفسهم، وأغلقت الأبواب في وجوههم، تأكدوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه. إليكم جميعاً هذه الرسالة، لعلها تساعدكم علي الصبر والثبات أمام المحن والشدائد التي تواجهكم.